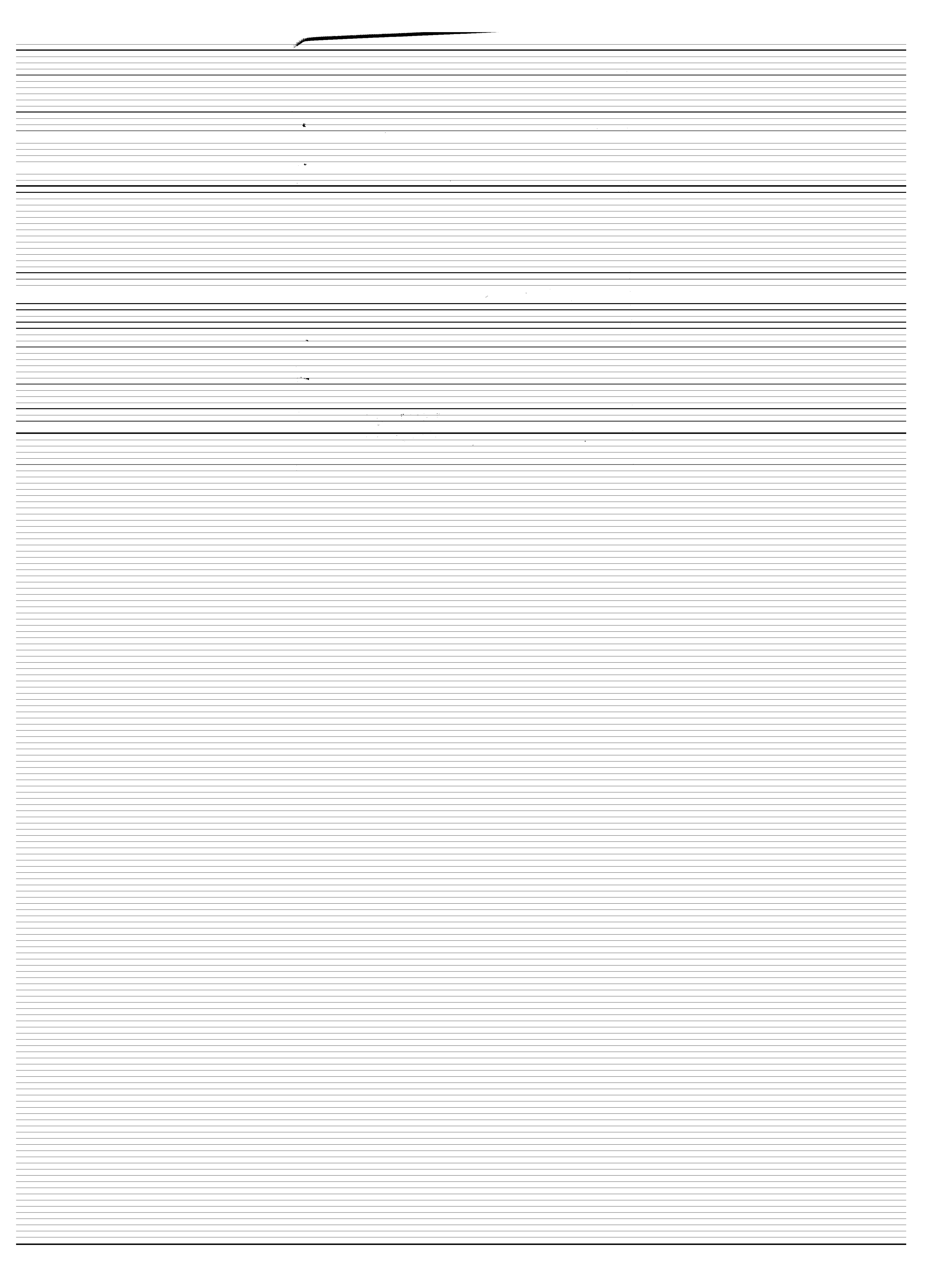
نفوسٌ مُعذَّبة

محمد عمر الشاطبي

الطبعة الثالثة
اغسطس ١٩٨٨



الاهـــــداء

الى . . . . .

من اطاحت بنفسى الى الجحيم . . .

الى . . . . .

من جعلتنى اعيش هائما فى دنيا الامل والشوق والحنين .

الى . . . . .

من عذبت روحى ، وتركتنى رماداً لا حياة فيه . . .

اليها أهدى قصتى . . . .

نفوس معـــذبة . . . .

محمد عمر الشطبى

لا أدرى كيف ابدأ قصتى هذه !!!
التى ساحاول ان أسردها عليك .
هل من النهاية ؟ أم من البداية . . ؟
الكل عندى سواء . . .

انها قصة انسان عادى من الممكن أن تلتقى به فى أى لحظة من لحظات الحياة التى نعيش فيها لا ندرى من أمرها شيئا .

انسان عاش وتقلب فى دنيا لا تعرف للشفقة معنى . . .
ولا للرحمة مكان . . . .

نحن ذئاب تبحث عن الفريسة لتعيش على أكتافها :
وبعد ذلك تتركها عظاما بالية ، وأشلاء محطمة . . .

هذه هى الحياة من حولنا ، لا سعادة فيها ولكن شقاء وعذاب .

– قصتى لو تكلمت معك فيها يا عزيزى لذرفت دموعك حزنا ألما على حياتى وأيامى التى عشتها ، انك لا تعرفه ما هى حياتى .

حياتى هى دماء اعتصرها من قلبى ودموع أستجديها من أعين أحالها العذاب والشقاء الى عيون لا بريق ولا بهجة فيها .

واستعطف قلبي المسكين الذى تعتصر دماءه اعتصارا ، واستجدى نفسي لعلها تبكى بكاء . وتنتحب انتحابا ، عسى ان تجد السلوى في تلك الدموع التى اذرفها . فالبكاء يجعلنى أعيش في عالم أحس فيه بالراحة النفسية التى تربطنى بهذه الحياة .

ـ هذه هى حياتى ، احزان مبللة بدموع الحرمان ، ومع ذلك سوف اقصها عليك عسى أن تأخذ منها عبرة . . أو موعظة .

ـ كيف نعيش ونعتبر أنفسنا من دعاة البشرية المتحضرة اذا كنا لا ننظر الى دخيلة النفس البشرية ... ونحال ما انطوى عليه قلب الانسان من أحزان وآلام . .

ـ انني اتساءل ؟

تلك الاحزان التى تحيل حياة الانسان منا الى شقاء دائم ، وتحيل الليل الى سياط تلهب تفكيرنا وضمائرنا . .

أننا لو شعرنا بآلام الآخرين من حولنا لارتاحت تلك النفوس المعذبة والقلوب الكليمة فلا تعب ولا شكوى .

ولكن للاسف الشديد أننا نشعر بالآمنا والعذاب الذى فى قلوبنا فقط ، وان جاءنا شخص شاكيا ألمه يجد دموع التماسيح تسبق قولنا ، وهل تحل الدموع مشاكلنا ؟ ولكنها ليست دموعا من أجل شفقة أو رحمة ـ فاننا نقول عن هذا الشخص البائس انه مجنون .. لو كان عاقلا لما عذب نفسه هذا العذاب بينما لو كنا نحن فى موضعه لفعلنا أكثر مما يفعله بنفسه .

❋ من الطبيعى انك لا تعرفنى ولكننى سـوف اقدم لك نفسى . . اننى انسان جئت الى تلك الحيـاة وسـوف اتركها بدون أن أعرف من أنا فلست أدرى ما هو مصيرى ولا ما هى آمالى التى سـوف تتحقق فكل ذلك بيد القـدر . . . !

لقد نشأت وانا احمل اسما لا أعرف لمـاذا سميت به ولكن أبى وامى هما اللذان أرادا لى ذلك سواء رغبت أم رفضت . . أعطونى اسما لا يدل على حياتى التى أعيش فيها .

اسمى احمد لو كان أبى يدرى ما سـوف يحيق بى لـكان اختارلى اسما آخـر وحيـد مثلا . . ولكنـه لم يكـن يدرى مصيرى .

❋ ما هى الحكمة التى خرجت بهـا من حياتى سـوف تعرفها من سياق الكلام فلا داعى لذكرها الآن . . لانها حكمة او حقيقة مؤلمة .

❋ لقد اطلت عليك . لكن معذرة فلست اجـد من استريح اليـه وأبثه همومى وشـكواى وآلامى سـواك انت . . انت الوحيد الذى استريح اليه . . لذلك ارجو منك أن تغفر لى اخطائى وما سوف اسـببه لك من مجهود وانت تقرأ قصـة حياتى المؤلمة فلتغفر لى هذا الاسترسال . . . فلقد هفت نفسى الى التنفيس لك عن جزء من متاعبى وما أحسبك تضن على بفرصة أخلو فيها اليك كى نتبادل . . تلك الذكريات فى حديث النفس الى النفس . . . لقد كانت تمر بخـاطرى الذكريات وكان سدا منيعا يحجزها ثم فتحت ابوابه فجأة ، فانطلقت منه هادرة عارمة لتذكرنى بقصة حياتى .

❋ ❋ ❋

* فى يوم من أيام يوليو . . قمت من نومى مبكرا كعادتى بعد أن أمضيت الليلة الماضية فى احدى الملاهى . . . ونظرت في المرآة لكى أرى وجهى وقد شحب لونه من آثار السـهر المرهق .

* وتناولت افطـارى وارتديت ملابسى على عجـل وأنا اشعر في قرارة نفسى بأن هناك شيئا غير عادى ينتظرنى . خرجت يومها من منزلى وانا اتعجـل الوقت للذهاب الى عملى . نسيت أن أخبرك اننى أعمل في منصب مدير عـام لاحدى الشركات الصناعية .

* فى حوالى التاسعة صباحا كنت أجلس الى مكتبى ، وبعد أن فرغت من تناول القهوة والاطلاع على جرائد الصباح بصورة سريعة ـ فقد كنت يومهـا على موعد لمقـابلة بعض الزائرين فى تمـام الحـادية عشرة صـباحا . لذلك حاولت الانتهاء من عملى استعدادا لهذه المقابلة .

ولم تمض لحظات كثيرة حتى رأيت الساعى ـ هذا الانسان القانع بمعيشته لا يحاول أن يجددها وهو راضى بهـا .

ـ رأيته يدخل وهو يقول . . .

ـ فيه واحدة عايزة تقابل سيادتك ؟

ـ ادخلها ياعم عبده . . .

ـ حاضر ياسعادة البيه . .

وخرج وانا اتذكر احداث الامس وظننت أن الفتـاة قـد
تكون تلك التى التقيت بها فى الملهى ليلة امس .

ولـم مض ثوانى حـتى انفـرج البـاب . . ورأيتـك
يا ناهـد . . تدخلين . . لقد خاب ظنى لم تكن هى فتـاة
الامس بل كانت فتاة لم التق بها من قبل ، لم أكن أعرف من
انت بعـد .

ونظرت اليك فى دهشة لم أدرى سرها .

أحسست أننى قد عرفتك مـن قبـل ولم يطـل تفكيرى ،
وطلبت منك الجلوس . . فجلستى يومهـا . . يا ناهـد .

ورأيت فى عينيك ذلك الآلم والحزن الذى تعودت ان أراه
فى كل العيون التى يسير أصحابها دون أن يعرفوا لم ذلك
الحزن الذى يغلف حياتهم .

لم أعرف يومها يا ناهد سر هذا الحزن الذى يملأ عينيك ،
ليتك لم تحضرى هذا اليوم . . . !

أو ليتنى لم أعش هذا اليوم . . !

* ورأيتك تنظرين الى بنظرتك الحزينة ... لم أكـن
أدرى ان كانت تلك النظـرات خوفا منى . . فنحـن كذلك
عندما نتقابل مع الرؤساء نشعر برهبة تعجزنا عن النطق
بمـا يجيش فى قلوبنـا ـ أم انك تفكرينُ في المجهـول الذى
ينتظرك .

* وسمعتك تقولين بصــوت ينفذ الى القــلب مبــاشرة فهو من تلك الاصوات الهادئة التى تجبر المســتمع لهــا على الانصات .

تسمح من فضلك .

ـ نعم .

ـ اننى جئت اليك في خدمة أرجو أن تسديها لى .

ـ وما هى تلك الخدمة التى تريدينها منى ؟

ـ اننى أريد أن تساعدنى فى الحصول على عمل بالشركة يناسبنى ، لأننى قرأت الاعلان المنشور بالجرائد أمس .

* لم أسألك يومها يا ناهــد مــن أنت . وما تحملين مــن مؤهلات ! بل كان كل همى هو رؤيتك . شعرت بأن هنــاك شيئا يربطنى بك . . . أحسست بذلك من أول نظرة منك ، من أول ابتسامة . . كانت ابتسامتك يومها مشــبوبة بحزن دفين لا أعرف له سرا .

ونظرت اليك وأنا شارد الافكار بابتسامة كلهــا حنان . . وأنا أقول لك :

ـ اننى لم أتعرف بك الى الآن ؟

ـ أنا اسمى ناهد منصور . . .

وانتقلت مع هــذا الاسـم من دنيــا الواقع المرير الذى أعيش فيه الى دنيا الأحلام التى أرسمها فى خيالى وأحــاول

ان أسعد بتحقيق جزء منها ولكن متى تحققت الأحلام .

انتقلت الى هذه الدنيا الخيالية وعشت معـــك . . .
ومع هذا الاسم . . . ناهد . . .

لقد شدني الى دنيا الأوهام والأحلام وجلست أردد بيني وبين نفسي . . ناهد . . ناهد ما أحلاه من اسم ما أعذبه . .

* وعدت اليك وأنا أتمتم بأسـئلة لا معنى لهـا سـوى ارضاء رغبتك واشعارك بمدى أهمية عملى .

ـ أين تقيمين يا ناهد ؟

ـ قلت لي ويا ليتك لم تقولي . . ياليت الصمم قد أصابني لحظتها فلم أسمع شيئا .

ـ وحيدة يا سيدي .

ـ أين . . تكلمي ؟

لا تخافي مني ، كوني صريحة معي يا ناهد . . .

ورأيت الدموع تجري من عينيك السوداء ، على خـدود كأنها زهور ذابلة لا بريق فيها ولا حياة .

لم تبكين يا ناهد ؟

ـ لا . . . لا . . . شيء .

وصممت يومها على معرفة الحقيقة منك . . وأنا لا أعرف لـماذا وما شأني بذلك . . .

ولكن الفضول الأنسانى هو الذى يدفع الانســـان منــا الى ان يسعى لمعرفة ما فى قلوب الآخرين ولذلك صممت على ان اعــرف كل شيء لحظتهــا ورجوتك يومهــا أن تتكلمى — دفعنى الى ذلك الرباط الذى احسست أنه يربطنى بك . . .

جففى دموعك يا ناهد قولى لى عما بك .

فان الدموع لن تفيد ولكنهــا فى بعض الأحيــان تغســـل قلوبنا من الاثم الذى يحيط بها من كل الجوانب ونلجأ اليهــا في ساعات اليأس والضــيق ، نحــاول أن نخفف بهـــا مــن آلامنا .. والعذاب الذى فى قلوبنا .

وتعجب منى . كيف أكلمك بهذا الأسلوب وانا لم التقى بك من قبل ، ولكنها الأحزان يا ناهد هى التى جمعتنا وهى التى ربطتنا ، لذلك حاولت أن اجد شعاعا من النور يطــل على من خلال حياتك . . .

وسمعتك وانت تنطقين فاصغيت بانتباه شـديد . . .

— أستاذ احمد اتريد أن تعرف الحقيقة ؟

— ان كان هذا ألا يؤذين مشاعرك . . .

***

وأعتدلت في جلسـتها ، وتنهدت تنهيدة طويلة ، أخرجت معها جميع الآهات المكتومة في صــدرها ... ومدت يدها لتخرج منديلها مــن حقيبتها الصــغيرة تجري على خــدها وتكلمت وهى تمسح دمعــة صــغيرة تجـرى على خــدها

الجميل ... المشبوب بحمرة الوردة قائلة ...

- أنا فتاة يتيمة عشت مع أسرة كان عائلها الوحيد قد اخذنى من ملجأ ، كنت أقضى به أيام الطفولة التى يعيشها غيرى فى لهو ومرح وسعادة .

لم أشعر فى لحظة من اللحظات بالحنان الأبوى .. لم أعرف لى أما ... كنت أرى المشرفة وهى تحتضن ابنتها الصغيرة التى تحضرها معها يوميا فى حنان وتضع يديها فوق شعرها الجميل ، كنت عندما أرى ذلك أجرى وأجلس وحيدة واتساءل وأنا الطفلة الصغيرة ، أين أمى ... ؟ ولماذا أنا وحيدة لا أم ولا أب مثل هؤلاء الأطفال ... حتى تبنتنى هذه الأسرة ، وعشت مع العذاب فى كنف هذا الشخص الغريب ..

لقد كان حنونا معى ، يعاملنى كطفلة من أطفاله .. لم يعاملنى بقسوة يوما من الأيام ، ولكن الذى يعذبنى هو احساسى بان هذا الحنان مصطنع ... حنانا يؤذى مشاعرى ...

ولكن القدر كان يقف لى بالمرصاد ... يعذبنى على ذنب لم ارتكبه . وما هى الذنوب التى يرتكبها الأطفال وهم فى السن صغار ...

لقد مات من كان يعطينى الحنان ... ذهب وترك لى الشقاء والعذاب وأصبحت وحيدة يا سيدى .

حاولت الزوجة ان تعاملنى معاملة الخدم ... رفضت ان تدفع لى مصاريف الدراسة فذهب العام سدى ، وتركت الدراسة وانا فى السنة الثالثة الثانوية .

والآن انا يا سيدى . . تائهة . . شريدة .. اعيش عيشة كلها بؤس وشقاء ... مهددة بين يوم وآخر بالطرد من المنزل .

لذلك حاولت جاهدة أن أبحث عن عمل أعيش منه ...

فانا اعرف انه لم يكن ابى ولكنه كان يحبنى بدافع الشفقة ... ولذلك فلا حق لى الآن في المنزل ...

وشاءت الأقدار ان احضر اليك انت لكى تأخذ بيدى فى تلك الحياة ...

اتعرف بماذا شعرت عند جلوسى اليك يا سيدى :

ـ لقد شعرت لأول مرة ببوادر الأمل تشع امامى ... لقد وضعت في قلبى الثقة التى كنت افتقدها ... هذه هى يا سيدى حياتى اضعها بين يديك الكريمتين ... !

وعندما انتهيت من حديثك يا ناهد احسست بالدموع تكاد تتساقط من عيونى وحاولت ان اخفى ذلك ولكن لم استطع .

ـ اتبكى يا استاذ احمد ؟

ـ ونظرت اليك وانا احاول ان ارسم ابتسامة فوق

وجهى ... ولكن لم استطع وتوقفت الكلمات في حلقى ، لم انطق يومها يا ناهد ... فماذا كنت سوف أقول لك ... لقد كنت مظلومة فى مجتمع بشرى فاسد ، مشبع بالفضيحة ... مجلل بالعار ... مجتمع لا رحمة فيه ولا شفقة .

وبدأت أشعر بميل غامض نحوك ... وخرجت يومها وانا اودعك بكلمات كلها سخرية من القدر الذى دفع بك الى العذاب والحرمان فى وقت أنت فى أشد الحاجة فيه الى لحظة من تلك اللحظات التى تمر بالانسان ... من سعادة وفرح ولكنها سعادة لا تدوم ...

وأغلقت الباب وراءك يا ناهد ... لكنك فتحت بابا جديدا فى قلبى ...

لقد طرق حبك قلبى الحزين الذى احاله العذاب والشقاء الى دنيا لا حياة فيها ...

ولكنه عاد من جديد بنبضه الشديد ودقاته المتلاحقة كطبول الحرب تدوى ... تصم الآذان ... ولكنه بشير النصر الذى نحاول الحصول عليه ونفرح به ولكن تلك الدقات تفزعنا ...

كان حبك يا حياتى فى فؤادى وجلست الى نفسى ... ولكن كيف الجلوس وأنت بعيدة عنى ؟ .. وحضر الأصدقاء فكنت أسير معهم بدون شعور لا اعرف ماذا اقول لهم ...

وتركت العمل وعدت الى المنزل قلقا لا افكر الا في تلك اللحظات التى عرفتك فيها ، والتى سيطرت على كيانى ومشاعرى وجعلتنى اعيش في عالم جديد ...

ورأيت وجها مشرقا ... يشع ضياءه فى كل مكان وعشت مع هذا الجمال لحظات لم اكن اميز شيئا غيره . كنت ملء المكان الذى اجلس فيه واتخذت لك يومها بين حنايا ضلوعى مرقدا ... وهيأت لك ثنايا قلبى مضجعا ... واصبحت ملء خاطرى ...

لا تغيبى عنى في يقظة او منام ...

أجل يا ناهد ... !!

كنت دائما معى ...

ملء قلبى ونظرى وسمعى ...

كنت انكر فى خشوع ورهبة اقدم صلاتى الصامته الى تلك التى اسرفت الطبيعة فى التعبير عنها ... كنت ذات وجه مشرق ، امتزج فيه بياض الفجر بحمرة غروب الشمس ... وعيون سوداء واسعتان تحرسها اهداب بنية اللون كأنها حراب ، وفم صغير كحبة الكريز ... تحيطه شفتان كأنهما خيطان من الزمرد والعقيق ... وشعر طويل مرسل كأعماق الليل الذى يتجلى ... وصدر تأخر كرمانتين آن وقت قطافهما .

* * *

... جاء الليل الطويل يذكرنى بأيام مضت ولن تعود .. وباتت عيونى لا تعرف النوم وكانت الساعات تمر كأنها الأجيال .. كنت أتخيلك يا حياتى .. وأنت تسيرين .. وأنت تنامين .. وأنت تأكلين ... كنت اتخيل كل شىء فى حياتك .. لقد احببتك يا ناهد .. وامسكت كتابا أتحايل به على الساعات الباقية من الليل . وقرأت فى احدى الصفحات هذه الكلمات عن المرأة .

ـ كم من عظيم نبغ ولم يعترف بالفوائد الجمه التى بعثت اليه من روح المرأة خلال حياته العملية .

... أليست هى المرأة التى جعلت الشاعر يشد أوتار قيثارته فتنبعث منها أجمل الألحان وارق الأقوال .

... وكم من انسان كاد اليأس ان يقتله ويفنيه الأكتئاب قد وصل الى بغيته محمولا على نسيم أملها مسترشدا بنور ابتسامتها .

... ان المرأة هى تلك الحورية التى هربت من الجنة ... لتلطف شقاء بنى الانسان .

قرأت تلك الكلمات وحاولت ان اقارن بين المرأة في الماضى والمرأة التى أمامى الآن فلم استطع ... كانت فى الماضى

ومازالت سر الشـقاء الذى أعيش فيـه الآن .. أليست هى
التى أحالت حياتى الى جحيم لا يطاق ..

لكنى الآن اجدها ترسـل لى نور السـعادة وأشـعتها
ترفرف بها على جوانح قلبى الجريح .. عجبا لهذا القدر .

... ومضت سـاعات الليـل الطـويلة .. واسـتيقظت
منهوك الجسم متأخرا وخرجت مهرولا ... وذهبت الى عملى
وانا سعيد .. سوف التقى بك في العاشرة من صباح هذا
اليوم .. صممت على أن أقـول لك الحقيقة .. مهما كانت
الظروف ...

تركت الباب يومهـا مفتوحا حـتى تدخـلين بسرعة فأنا
استعجل لقاءك .. لا أطيق صبرا على بعدك عنى .. لقـد
أصبحت جزءا من كيانى .. وروحى ..

وكم مـن مرات أطلت فيها النظـر الى الباب ، عسى أن
أراك علما بأننى أعرف بأن موعدك لم يحن بعد .. ولـكن ،
هو الشوق الذى كان يحدونى ..

وعلى البعد رأيت طرف ثوبك وأنت تقفين بالبـاب ..
لقد جئت يا ناهد .. ورقص قلبى فرحا مسرعا في دقاته .

ودخلت الى وأطلت النظر اليك .. وأنا أهمس لا أقـدر
على النطق .. ــ اجلسى ياناهد ..

وجلست امامى وانا ابحث عن كلمات انطق بهـا .. لقد ضاع كل ما كان يجول بخيـالى مـن كلمات ومـن افـكار ، وما انتويت ان أسمعك من نبضات حبى ..

ودعوتك يومها على الغـداء .. ورايت حمـرة الخجـل وقد علت خديك وانا اوجـه لك الدعـوة .. ، ونظـرت الى وفى عينيك سؤال . ؟

ـ ماذا ياناهد .. ؟

ـ لا ولكنى لن أستطيع الخروج معك ..

ـ لماذا وهل هذا معيب .. أم أنك تخافين ..

ـ لا يا سيدى اننـا نعيش فى مجتمـع يربطنى بقيـود لا أستطيع تجاهلها ، وهذا ما يمنعنى من الخروج معك ...

ـ ناهد أرجوك ان تتغاضى عن هذه القيود .. نريد ان نعيش السعادة كما نراها وكما خلقنا من اجلها .. واصررت يومها على ان نخرج سويا ..

ورأيت عيونك وهى شاردة .. لا تعرف بماذا تجيب ولم أعطـك فرصـة للتفكير وتركتك وأنا أقـول .. عـن اذنك ياناهد .. وخرجت وقتها للذهاب الى الأرشيف .. وعدت اليك .. لقد مرت الدقائق كأنها سنوات .. ما أجمل شعرك ياناهد ..

القيت هــذا السؤال على نفسي وأنا عائد الى المكتب وكان
شــعرك مرســلا وراء ظهرك . مما يزيدك سحرا وجمالا ..
أكثر مما كنت عليه من فتنة وجمال ...

* * *

وخرجنا سـويا والسرور يملأ قلبى المسـكين الذى لـم يعرف السعادة فى حياته سوى لحظات عابرة تمر بى مـرور النسيم العليل ..

وركبنا العـربة وجلست بجوارى ... ومددت يدى الى جهاز الراديو وانبعثت الموسيقى الهادئة التى تهفو اليهـا النفس ...

– هل تحبين الموسيقى يا ناهد ...

– ولم تنطقى ولم تجيبى ... يومها ...

وسارت بنا العربة تنهب الطريق بسرعة عجيبة لم أشعر بها وقتها ...

وهناك فى الطريق الصحراوى فى صحارى سيتى جلسـنا نتناول الغذاء ، كان المكان جميلا ... وكيف لا يكون كذلك وانت معى ...

كانت السعادة حولنا ... والجمال والخفة فى روحك ... وضحكنا يومها ياناهد كثيرا ...

كانت سعادة لم أشعر بهـا من قبـل .. سـعادة حرمت منها سنين طويلة ... سعادة شعرت بها بين يديك ...

كنا نتبادل النظرات بدون كلمات ننطق بهـا ... فقـد كانت تعبيرا بليغـا عمـا يجيش في قلبى مـن آهـات وجراح ... وحب ...

ورايت الدموع تترقرق فى عينيك ... وسألتك في دهشة ...

ـ ناهد ... ماذا هناك ؟

ـ لا ... لا شيء ...

ـ اذا لماذا تبكين ... ؟

ـ وتكلمت بصوت اشبه بحفيف الأشجار ، صوت شجى مغلف برنة أسى وحزن ...

ـ أتريد أن تعرف لماذا أبكى ؟

انني ابكى ...

ابكى لأنك الوحيد الذى فتحت لى بابا جديدا من الأمل الذى فقدته ... انني لم اجد فى حياتى من يشعرني بالسعادة ... وانت اعطيتني الحنان والأمل ولهذا ابكى ... وساظل ابكى فليس بكائى حزنا ولكنه بكاء الفرح ...

ونظرت اليك وانا ارجو ... وعيناى تقول لك عما فى قلبى .

ياترى هل تفهمين ... هل قلبك معى ...

وامسكت بيديها ... وهمست فى اذنيها ...

ـ ناهد انا احبك ...

ورايت الخجل يعلو وجهها فى ابتسامة هى الصفاء ...

وجلسنا فى صمت ثوانى مرت كأعوام ...

وتكلمت قائلا ... ناهد ؟

ونظرت الى بانتباه ... وأنا أخجل من النطق ولكن قلت ... هناك سؤال اريدك ان تجيبى عليه ...

– ما هو سؤالك ... ؟

– أنك تعرفيه جيدا ... لقد سبق أن تكلمنا فيه ...

– لا أذكر يا أحمد ...

– ناهد انى أريدك زوجة لى ...

ولم تنطقى وأنسدلت الأهداب على تلك العيون الساحرة فى خجل وحياء ...

تكلمى يا حياتى ... هل هناك مانع ... أرجوك ان تفتحى لى قلبك ...

– ليس معقولا ... لا يمكن يا سيدى ان تتزوجنى وأنا الفتاة الوحيدة التى لا تعرف لها أما أو أبا انتخر بهما . . اننى منبوذة . . فكيف تريد منى الموافقة . .

– لا يا ناهد أنا كل شىء ... انا أريدك انت ياروحى ولا أريد سواك ... اننا نحن الذين سوف نتزوج ولن يعكر صفو حياتنا أحد ... سوف أحضر اليوم لكى أخطبك من المنزل الذى تعيشين فيه ...

ولم أسمع منك اجابة ...

وخرجنا سويا وذهبنا لشراء الشبكة وقد صممت يومها على كل شيء فورا ... فلم اكن أستطيع الانتظار على اتمام سعادتي ...

ولماذا الانتظار والحياة تجرى بنا ... أليس من حقنا أن نأخذ منها السعادة والمرح قبل فوات الأوان ...

* * *

وفي المساء كنت أطرق باب منزلكم ومضى وقت طويل من الصمت لم أسمع لصدى طرقاتى صوتا وتلاحقت ضربات قلبى . . أين ناهد . . يا ناهد . . أين أنت ياروح قلبى . . .

ورأيتك يا ناهد وكأننى لم أرك من سنين . . . لست أنت من كانت معى في الصباح . . .

وتم التعارف وأنا أتعجل الوقت وأحزن فى صمت على كل لحظة تضيع من عمرنا بدون أن نمتع أنفسنا بها . . .

وأنتهينا من اجراءات الخطوبة بسرعة وحددنا موعدا للزفاف ولم أفكر لحظتها هل يريد القدر ذاك أم انه يخطط لنا شيئا أكثر من هذا . . .

وعدت يا حياتى لأعيش وحدى مع ليلى الطويل . . .

ليل زرتنى فيه جهارا فلم أنم . . . لم تطرق الأحلام بابى . . . رأيتك آنسا زائرا يمر أمامى . . .

كنت روحا فى جسد من نور . . وفى غفوة من الليل كلما حاولت أن الثم عينيك توارى . . . كلما مددت كفى الى جسدك أحال النور نارا . . . كلما ملت يمينا نحوه مال يسارا . . .

كنت معذبا لا أعرف نوما . . . لا أعرف مستقرا

فالحب يقلق حيـــاتى وطيفك يجعلنى اهـذى كمـــا يهذى السكارى . .

كنت عندى ياناهد . . أجمل العذارى . . فكرة صـــورها الحب لى وليس الحب عارا . . .

ما تقولين فى ذلك لقد أديت دينى . . أجيبى ، فـلم أسمع منك جوابا .

ورحت فى سبات عميق ، ورأيتك ياناهد . . فى حـلم مـن الاحلام وما أكثرها الليلة . . . .

اقتربت منى وانت تبتسمين ابتسـامة مليئة بالحنـان وكأنها تقول تعال يا من تريد الحياة تجرع تلك الكاس مـن ذلك الجسـد الذى يزيد الحيـاة بهجـــة وسرورا واقتربت ووضعت يدك فوق كتفى وانا انظر اليـك . . وانت تقـولين أحبك يا أحمد . . أحبك يا أحمد . .

وصـــحوت مـــن نومى عسى ان أراك . . . تجلســين بجوارى . . وتذكرت أننى كنت فى حـلم ياليته كان حقيقـة

* * *

. . . وفى الصـباح رأيتـك ياناهـد تدخـلين الى مكتبى والفزع يملأ وجهك ومددت يـدى لتأخذ يـدك ورأيت الرجفة تسرى بها ـ نعم أحسست بذلك ووقفت فى صمت ثم قلت . .

ـ ناهد ماذا بك ؟

ـ وألقيت بنفسك فوق صـدرى والدموع تجـرى مـن عينيك وحاولت أن أهدىء من روعك ..

ـ ماذا حدث .. تكلمى ؟

لا يمكن يا أحمد .. ارجوك ابتعـد عـن طريقى .. انت انسان فى منتهى الطيبة ...

ـ ماذا حدث .. ؟

ـ أنا لا أريد أن أعذبك ..

ـ ناهد .. ماذا تقولين ؟

ـ أحمد أرجوك أن تنسى أننى التقيت بك .. فا أنا لا أريد أن أؤذيك .. ان ما حدث بالأمس فيه الكفاية ..

ـ ما هـذه الخرافات التى تتـكلمين عنهـا .. أريد ان توضحى هـذا الكلام ..

ـ أتريد أن تعرف لماذا جئت الآن اليك ..

وأحسست بجسـدك بين يدى كتـلة مـن الثـلج وانت تحاولين النطق وأنا اساعدك لكى أعرف ما تقصدين .

ـ أحمـد .. لقـد حـدث أمس فى منزلنا شىء لا يمـكن تصـوره ... بالأمس بعد أن آويت الى فراشى اسـتيقظت على حركة غريبة فى غرفة من أعيش معها فى المنزل ، نزلت

من فورى من على السرير وانا أجرى فزعة وبجوار الباب شاهدت كل شيء اتعرف ماذا شاهدت ؟

... كانت من اعتبرها والدتى ممددة فوق السرير وهى شبه عارية والضوء الأحمر ينعكس على جسدها ، وللأسف الشديد كان الى جوارها رجل كثيف الشعر يغرقها بالقبلات .

ورحت فى حالة من الذهول ..

كان الرجل يتأوه على صدرها وهى تهمس .. أحبك .. انت حياتى لولاك لا نتحرت من زمن طويل ، وصرخت فى فزع .. ولم أفق الا على صوتها وهى تقول ..

اسمعى يابنت انت .. لقد ربيتك .. ومن بكره تشوفى بيت غير ده .. وحاولت ان انطق فلم اشعر الا بيدها وهى تهوى فوق صدغى كالصاعقة وهى تقول لى ..

ـ يا مجرمة .. ايه قلة الأدب دى ..

ونظرت اليها فى استياء غريب ولم يغمض لى جفن طوال الليل والآن أنا بين يديك سوف اترك هذه الحياة .. لا يمكن أن اعيش فيها وحيدة وأخيرا أو صم بالعار .. وأعرف أن من أعيش معها لها عشيق ...

يارب لم هذا العذاب .. لم لا تنتقم من تلك الشياطين

التى تعيش بالأرض وتنتقم منـــا نحـــن ... يـــارب ..
واجهشت بالبكاء ..

ـ ناهد لا تقولى مثل هـــذا الكلام بعد الآن ..

اليوم ســوف أرحمـك مـن هـذا البيت .. سننتقل الى منزلى .. غدا ستكون ليلة زفافنا .. فاستعدى لها .

ونظرت الى بعينين تهب الحنان الى قلبى .. المستقر في وحدته وأنت تقولين ..

ـ أحمد أرجوك لا تربط نفسك بى !

ـ لا يا ناهـد لست المذنبـة فيمـا حدث . لقـد اتفقنـا على الزواج .. ورأيتها تقـوم فى سرعة عجيبة وهي تهدىء من روعى .. وبعد ساعة جاءت فبادرتها قائلا ..

ـ لقد شاءت الأقـدار أن تكون هـذه حياتك .. ولابد أن أرحمك من هذا العذاب الذى تعيشين فيه . نعـم لن اتركك تتعذبين بعد الآن ... مهما كلفنى ذلك ..

لا ياناهد ســوف أتزوجك .. اننى احبـك .. لقـد تمت خطوبتنا ولابد أن نســـير فى الطـريق حـتى النهـاية التى يمدها لنا القـدر .. اننى لا أنظر الى المـاضى .. الحـاضر هو حياتى .. فلا قيود أتقيد بها .. فأرجو ياناهد أن تقبلى قولى بثقة ..

ورأيت وجها ضاعت منه حمرة الخدود تجرى عليه دموع كنهر بدون سدود ..

ـ اجلسى يا ناهد .. سوف نخرج من هذا المنزل ..

ـ بأى شكل ونحن لسنا على استعداد الآن !

ـ غدا سوف تكون ليلة زفافنا ..

وفغرت فمك فى دهشة ..

وقلت لك لا تندهشى يا ناهد .. غدا يعنى غدا ..

ـ لا يمكن ، اننى لم احضر فستان الفرح حتى الآن .. لم ندعو أحدا لحضور حفل زفافنا ..

ـ لا يهم .. لا نريد ان يحضر أحد .. نحن سوف نتزوج ولا داعى لأن يشهد احد على ذلك . فالافراح فى قلوبنا .

وخرجنا يومها سويا لشراء فستان الزفاف والاستعداد للغد .

* * *

ومضت الساعات الباقية من ليلى الطويل ، وجاءت الليلة التى انتظرناها شهورا طويلة بين العذاب والحيرة والألم . كنت تجلسلين بثوب الفرح كملاك جاء من الجنة .. تجلسين وانت لا تدرين أن الأعين المحيطة بك تحسد هذا الجمال الجالس فى صمت وسكون وخشوع ..

يقدم صلاته الصامتة الى الخالق الذى ابدع فى تقسيم
وتوزيع هذا الجمال على جميع اجزاء الجسد ..

وتقدمت منك وجلست الى جوارك .. لم تتكلمى .. بل
كنت تبكين يومها .. لا أعرف لماذا ؟ . هل لكونك لا تريدين
الزواج منى .. أم أن هذا بكاء الحب الذى فى قلبك ..

ولكن الدموع الساخنة التى جرت على يدى وهى في يدك
جعلتنى أهمس في اذنك .. بتلك الكلمة التى جعلتك تنظرين
الى نظرة كلها شوق وحنان .. أحالت قلبى الى جروح
لا أمل فيها .. قلت لك يومها .. هل تحبيننى يا ناهد ؟
فما أبهج الحياة وما أجملها .. اننى لم أر النهار أجمل ما
رأيته عندما صحوت فكل شىء يحمل طابع سعادتى ..
يحمل نور حبك وصوتك الدافىء لا يزال عالقا بذهنى .. كما
تعلق رائحة الورد بالوعاء الذى يحتويه ..

لقد اصبحت وانا لا أدرى هل هذا الذى أعيش فيه حلم
ام انه خيال فمن كان يصدق أننى سوف اجلس الى
جوارك يوما من الأيام .. اضحكى باحياتى .. اضحكى
ودعى الأحزان والآلام وأخرجت منديلى .. جففى دموعك
ياناهد .. وعدت من دنيا الأحلام والخيال الى دنيا
الواقع .. وسمعت الدفوف بدقاتها المتلاحقة من حولنا
تلاحق أنفاسنا .. ورايت النساء يتمايلن ذات اليمين

واليسار على دوى الدفوف والكل من حولنا يبارك لنا .. السيدات منهن يتذكرن هذا اليوم .. والآنسات يحلمن بهذا الحلم . وانتهت مراسم الزفاف وأخذتك من بين تلك الجموع .. أخذتك وهرعنا الى أولياء الله .. نبارك حبنا .. وركعنا فى خشوع ورهبة أمام ضريح السيدة زينب ونحن نتمتم بآيات من القرآن الكريم وتوسلنا اليها أن تشفع لنا عند الخالق ... لكى يمنحنا السعادة .. وغسلنا الخطايا التى كانت تملأ قلوبنا بدموع تنهمر من عيوننا ـ كنت تبكين ، يومها يا اهد وانا كذلك .. كنت تبكين وتقولين سبحانك ربى ! .

يا الله . ستة عشرة عاما من الشقاء والعذاب والحرمان .. أمشى على دروب الأمل الأخضر .. أحلم بعد ضاحك ملىء بالابتسامة ـ أسير وأنا أبحث عن الحنان فى وجوه الشيوخ .. ارتمى على صدر العجائز .. لا أشعر بدفء الأمومة التى حرمت منها .. واليوم أجد نفسى بعد أن كانت بالامس وحدى بين يديك .. أودع تلك الحياة التى عشت فيها . فلا تريد أن أذرف الدموع نعم اننى أذرف دموع الألم المختلطة بالرور على تلك الأيام التى ذقت فيها مرارة العيش وقسوة الحياة ..

تلك الأيام التى حرمت فيها من حنان الأب وعاطفة

الأمومة . . ونظرت اليك وأنا أهمس بكلمات تلطف من أحزانك . .

– لا تحزنى ياناهد جففى دموعك وتعالى معى من الآن سنعيش فى حاضرنا ولا داعى لذكر الماضى . تعالى نهيل التراب وندفن الماضى ذلك الوحش الكاسر . الذى يهددنا ويسير وراءنا يلهب ظهورنا بسياط العذاب . .

لا تبك ياناهد . . أن الله موجود وسوف يعطينا الحنان والسعادة التى حرمنا منها بدلا من الشقاء . هيا يا ناهد اسرعى لقد تأخر الوقت . نريد ان نلحق بالقطار . .

– هل سنسافر الآن . .

– نعم ياحياتى . لا أريد أن نضيع ثانية من عمرنا بعد الآن دون أن نستمتع بها . وخرجنا الى الشارع ورأينا المدينة بجلجلتها الصارخة تنادى ولم ندرى ماذا تقول . . ولا كيف تسير . . ورأيت تاكسيا واقفا كانه أرسل من السماء فركبناه بسرعة . .

– الى أين يا أستاذ ؟

– باب الحديد من فضلك . .

وانطلق السائق يشق شوارع القاهرة فى ظلام الليل

الذى تخفيه أنوارها الســـاحرة والتى ســـوف نتركهــا بعد قليل ..

وفى فناء المحطة ، كانت جموع المسافرين تنظر الينا وانت فى ثوب الفرح . وهم يتهامسون بكلمات غير مفهومة . واخذنا مجلسنا فى احـدى عربات القطـــار وتكلمنا كثيرا يومهـــا ياناهد .. ولم يمض وقت طويل حتى التقت الشفاه فى قبلة طويلة كأنها الشهد وكانت هناك قوة خفية تحاول أن تمنعنى من تلك القبلة ولكننى لم أعبأ بذلك واخـذت أقبـلك وانت تتمنعين ولم أدرى أو أعرف لذلك سببا .. وكنت أعلل ذلك بأن هذه أول مرة فى حياتك ولم اكن ادرى أن القدر يســخر منى الى هذه الدرجة الشنيعة ..

... واشرق الصـــباح بنـــوره وتوقف القطـــار فى الأســكندرية وكانت راسـك مسـندة فوق كتفى فى اغفـــاء ملائكى ســاحر ..

ـ ناهد لقد وصلنا ..

ورأيت عينيك وهى ترسل شعاعا من الســحر يحيط بهـا ويربطنى اليك برباط لا أستطيع الفـرار منــه .. وذهبنـا الى الفندق وسمعتك يومها تقولين ..

ـ أحمد تريد ان نقضى اليوم هنـا ..

ـ لم ياحياتى ..

– أخاف أن تهرب منى وتتركنى وحيدة ، وأنا لا أشعر بالدفء والحنان الا بجوارك ...

ولكن ياناهد أريد أن أمضى كل لحظة من حياتى منطلقا أجرى وأمرح .. لقد سئمت الجلوس واليوم أول أيامنا فى شهر العسل وتطلبين منى عدم الخروج ..

– اذا سوف أنام نحو ساعة حيث اننى لم أنم طوال الليل .. وأطعتك .. كأن الأقدار تأمرنى بذلك .. لم أكن أعرف ما الذى يخفيه الغيب عنا .. ونزلت الى الشارع لقضاء وشراء بعض الأشياء اللازمة لنا ..

وعدت اليك مسرعا .. فأنا لا أطيق البعد عنك .. لا أطيق الفراق وخصوصا فى تلك اللحظات .. وفتحت باب الغرفة ورأيتك نائمة .. وتلفت حولى ابحث عن هذا المكان الذى يشع منه الضوء ولم أجد سواك انت يا حياتى ..

ما أشبهك الآن بعصفورة صغيرة .. تهيم فى دنيا الأحلام .. ما أجملك فى هذا اليوم ..

أيتها الملاك هل تدرين كم أنت جميلة ..

يا ذات الشعر الأسمر ان جمالك يسحرنى ..

وايقظتك من نومك بقبلة على جبينك .. ورأيت الابتسامة تعلو شفتيك كأنها تطلب المزيد ..

وامتدت الأصابع وهي تتلاعب بخصلات شعرك المسترسل وجلست بجوارك ويدى فوق معصمك .. ومال صدرى فوق صدرك وتلاقت الأنفاس بعطرك المعبق .. والتقى فمى وفمك وما أحلاه من لقاء .. قبلة اسكرتنى حلاوتها .. كأس خمر لم أشرب مثله من قبل وكان قلبك يرسل دقات يخاف منها قلبى فيرد عليه بمثلها وجرت يدى الى عنقك احاول أن انهل من الكأس مرة أخرى .. فأنا ظمآن .. والظمآن لا يهدأ له بال .. وأخاف أن اتركك وحدك وامتدت يدى تبحث عن كل ما يشعرك بالسعادة وفجأة يا حياتى عندما جاءت اللحظة الحاسمة .. اللحظة التى كدت تفقدين فيها عذريتك في الوقت الذى كنت سوف تصبحين فيه سيدة .. في هذا الوقت ياحياتى تعجل القدر للانتقام منى .. انه يريد عذابى كأنه لم يكن يكفى ما أنا فيه من عذاب وشقاء .. ما أشقاه يومها هذا الذى عرفت فيه الحقيقة ..

ما أشقانى يارب ..

حكمت على بالعذاب .. لم يارب ؟ الست أنا انسانا له حق الحياة فى تلك الدنيا .. لم لا أكون مثلهم .. فى هذه

اللحظة يا حياتي .. عندما هممت بتقبيلك سمعت التليفون برنينه المزعج ورفعت السماعة لكى أعرف من هذا المتكلم الذى جاء ليعكر صفو الشوق فى قلوبنا ..

ـ آلو ..

وسمعت صوتا غريبا لم أعرفه يقول..الأستاذ احمد..؟

ـ أيوه .. أى خدمات ؟ من المتكلم ؟

ـ وجاء الصوت بتلك النبرات .. مش مهم انك تعرف من أنا ولكن المهم هو .. وارسل كلمات كثيرة لم افهم منها فى البداية شيئا .. كان يقول بلهجة سريعة .. أحمد أرجوك عدم الأقتران بناهد واذا أردت أن تعرف لماذا فالسر موجود بالسلسلة الذهبية التى تطوق عنقها .. واغلق السماعة وصرخت فى التليفون ولكننى لم اسمع صدى لصوتى ويتغير الموقف ـ ضاقت الدنيا أمامى .. من يكون هذا المتحدث وما هو السر .. وعدت اليك يا ناهد وأنت تجلسين وتسألين من كان على التليفون ؟

ـ واحد من أصدقائى يرسل الى تهنئة من القاهرة .. وحاولت ان أعرف السر الذى قال عنه المتحدث ورأيت السلسلة فى رقبتك وهى ترسل شعاعا غريبا لم أره من قبل

واقتربت منك وانا اداعبك اريد أن أعـرف السر ووضـعت فمي فوق خدك في قبلة .. لم أدري لهـا طعما .. وامتـدت يدى لتقطـع السلسلة المعلقـة في رقبتـك ووقعت السلسلة بين يدى وبدون شـعور منى تركتك وامتـدت الأصـابع اليها وعنـدما نظرت الى المصـحف المغلق بهـا ... دارت الدنيا بى .. لقـد رأيت عـذابى وشـقائى .. آه لو كانت تعرفين ماذا رأيت .. لقد رأيت الماضى وتذكرته وأمسكت بمعصمك وانا أصرخ .. لمن هذه الصورة تكلمى ما أقسـانى في تلك اللحظة .. لقد تحولت ساعتها الى حيوان وحشى .. لم أعد أرى غير الظلام من حولى ..

وعدت أصرخ من جديد تكلمي ورأيتك تنظرين الى وانت مندهشة ..

ـ ماذا بك يا احمد .. ماذا حدث ؟

ـ لا تسالينى .. أرجوك . اجيبى عن سؤالى ..

ـ لمن هذه الصورة ..

ـ لم تريد أن تعـرف .. انا لا أعـرف لمن هـى . لقـد نشأت وهى معلقة حول عنقى وفوق صدرى ترقـد جاثمة . وهل هذا يهمك فى شىء ... ؟

ولم أقدر على النطق ساعتها .. لم أعرف ماذا أقول لك .
وأحسست بدموع ساخنة تجرى من عيـونى .. كأنهـار من الدماء تحرق قلبى ولم أعد أرى شيئا أمامى .. لقـد تحولت الغرفة من حولى الى أشـباح وظلام مخيف وتلاعبت الأفكار برأسى .. لم أدرى ماذا أفعل وأحسست بيديك وهى توضع فوق كتفى وأنت تقولين ..

ونظرت اليك فى صمت رهيب ولم أستطع النطق .

– أرجوك يا أحمد أريد أن أعرف ماذا حدث ؟ هـل رأيت عروسين يبكيان فى ليلة عرسهما .

– ماذا حدث تكلم ؟

وأبتسمت ابتسامة كلها أسى وعذاب وأنا أقول لك .. اذا كنت أنا نفسى لا أعرف ..

ودفنت رأسى فى الفراش وأنا أنتحب انتحابا ..

لم يارب .. لم هذا العذاب .. هل فعلت شيئا يستحق كل هذا العذاب الذى أعيش .. هل فعلت شـيئا يسـتحق كل هذا العذاب الذى أعيش فيه .. لم يارب الا يكفى عـذاب سـتة عشر عاما مـن الحـرمان والشـقاء .. والآن تذكرنى بالماضى مع من أتخذتهـا زوجة لى – مع تلك المخلوقة . ألـم

اعش مع أمها أربعة شـهور فى الحرام .. هل هذه لعنتـك
يارب .. الا يوجد عذاب غير ذلك ــ ألا توجد طريقة أرحـم
من تلك التى تعذبنى بها ..

يارب لقد طار عقلى .. واصبحت بائسا لا اجد أحدا ابثـه
شكواى وهمومى .

وارتميت على سريرى والدمـوع تنسـاب بغزارة آخـذه
طريقها على خدى تلسعنى وكأنها جمر متأججة وبقيت عـلى
هذه الحالة مدة ساعتين غبت خلالهما فى نوم تشوبه أحـلام
مضطربة ..

اين اجد الحقيقة يا الهى ..

ما هى الصلة بين ناهد والهام .. فى الصورة ؟

هل يعرفان بعضهما ؟

تكون ابنتها .. لا .. لا .. مستحيل .

اتجعلنى أتزوج ابنتى .. مستحيل يارب ..

ولكن ماذا أقول ..

وخرجت وحاولت ناهد منعى من الخروج ولـكننى خرجت
وسرت طويلا بخطى مرتكبـة فى الشـارع الطـويل حـائرا
لاننى فقدتك ، وفقـدت ذلك الأمل الذى عشت به فترة مـن

حياتى ، وأهتديت أخيرا الى صومعة في أعالى التشرد وظلمة كنفسى .. لقد احببتها من كل جوارحى واتخذتها ماوى لى ..
وبعد سير طويل اذاقنى طعم أشواكه وادخل سهامه فى قلبى .. لقد انتهت حياتى .. لقد تبعتها فهربت منى .. وجلست الى أقرب مكان وجدته فى طريقى وما أن جلست حتى الم بى صداع قاتل وسيطر على نظرى نور وهاج افقدنى بصرى ..

هى ابنتى..كان هناك رباط يشدنى اليها وأنا أظنه رباط الحب ما اغبانى يومها .. ولكنها ارادتك يا الهى . تعذبنى .. تشقينى ولكن ما هى الذنوب التى ارتكبتها هى حتى تفجعها فى قلبها ؟ ما ذنب هذه البريئة .. ؟

كانت تنتظر هذا اليوم آمال كل فتاة فى سنها .. تريد الزواج . تريد أن تفرح فينقلب فرحها عذابا وحرمانا .. لقد نشأت يتيمة ..

ما أحقرها شهوة دنيئة .. تلقى بنا الى التهلكة .. هذه هى النتيجة أطفال أبرياء يعيشون للعذاب .. كل هذا من اجل لذة تستغرق ثوانى نقضيها ثم نعود الى دنيا الآلام والعذاب ..

ماذا فعلت تلك البريئة .. حتى تزوجها أعز انسان لديها ؟
ولكن ما هو الدليل على ذلك اننى اصمم على انها ابنتى .

ولكنى أريد من تحمل السر معها .. لن أتركها وسوف أبحث عنها فى كل مكان ..

ناهد أرجوك .. اننى احبك .. احبك ..

ــ ناهد لن أدعك ترحلين ستبقين الى جانبى .

أنت تعذبينى ياناهد من غير أن تدرى ..

ــ لا .. لا .. العذاب لى وحدى أنا المسئول عن ذلك أما أنت فيكفيك انك حبى الأبدى ..

ما بالنا نتعذب من غير حاجة الى العذاب . ألا يكفينا حبنا الكبير . كل هذه الأفكار مرت بى وعادت الذكريات الماضية بى الى الوراء ومرت الأيام الماضية كانها حقيقة أمامى ــ لم احتمل كل هذه الأفكار التى مرت بى فانا بين الحقيقية والخيال فى شك قاتل .. وعدت الى الفندق وأنا فى شبه أغماء .. وطرقت الباب ورايتك تقفين محمرة العيون .. اتبكين لا يا حياتى .. البكاء لى وحدى لا دخل لك أنت بذلك ..

ــ أين كنت يا أحمد ؟

لم انطق ودخلت الى الحجرة ابحث عن السرير لكى القى .. بنفسى عليه وجلست الى جوارى .. أحمد

ارجوك تكلم ماذا حدث ونظرت اليك نظرة كلها حيرة وعذاب ..

وانطلقت يدك تعبث بشعرى .. وعيناك مغرورقتان بالدموع .

ـ انا لا أعرف ماذا حدث منى يا أحمد ..

لم يحدث شيء منك يا ناهد ..

ـ اذن لم كل هذا الحزن وأين كنت طوال الليل ؟

ولكن ما هو الدليل على ذلك اننى أصمم على انها ابنتى وتوقفت يداها وهى تنظر الى بمنتهى الضعف وتراخت رويدا ، رويدا ثم اسلمتها شفتى تعصرهما بجنون وهى تقول هذه ليلتنا يا احمد نريد أن نفرح بها ولم أعرف ماذا افعل .. لا يمكن أن أمنعها .. كيف أقول لها الحقيقة .. هى تحبنى يارب كيف أمنعها .. هل اترك هذا الفندق ولكن لمن اتركها وحيدة ؟ . لا يمكن ان أقول لها الحقيقة وفى لحظتها رأيت جسدى وقد انهار فى ثوبى ..

وجاء الطبيب .. ماذا فعل ..

لا شيء سوى دواء مهدىء لا يفيد .. فماذا تفعل الأدوية مع انسان حكمت عليه الأقدار بالعذاب ، بالشقاء فى جحيم الحياة ..

ورقدت يومين وأنــا محطـم الأعصــاب وعشت مشــتت الأفــكار .. لا أعــرف ماذا أفعــل .. هــل اعــود بك الى القــاهرة مرة أخــرى وأين تذهبين ومع مــن تعيشـــيين ؟ هل اتركك لحياة البؤس مــرة اخــرى مســتحيل ـ اذا ماذا أفعل معك ؟ الزواج لا يمــكن أن يتم .. لا يمــكن أن تكونى زوجتى والشك يقتلنى .. آه يارب من هذا العــذاب الذى يمزقنى ..

انت ماذا تكونين .. ابنتى .. زوجتى .. ؟

يارب لماذا .. أنها بحكم القانون زوجتى .. فهل هــذا فى حكم الشرع وأين الدليل الذى يقطع الشــك مــن حياتى .. كل هذه الأفكار مرت بى .. وأنا فى الطريق اســير وحيــدا لا ادرى اين أذهب ..

لقد ارتكبت ذنبا لا يغتفر .. جريمة لا مفر منها ولكن ليس لى دخل فيها اننى مظلوم وانت معى تتجرعين مــن الــكأس الذى اشرب منه .. كأس العذاب والمرارة ..

لقد وقف القدر لى بالمرصاد يريد الانتقام منى ..

يارب ..

لقد مات صديقى ..

مات من حطم قلبى ..

وكنت أريد أن يكون ذلك الانتقام بيدى ولكنك كنت اسرع فى قضائك يارب ..

فرقت بينى وبين من كنت أعيش بها ولها منذ أمد بعيد .. والآن الا تتركنى .. وترحمنى . تنتقم منى الآن بعـد ان مرت الأيام ، وظننت أننى سوف أعيش سعيدا لا شىء يكدر حياتى ... لم يارب .. لم هذا العذاب الذى أعيش فيه ؟

* * *

... بعـد ساعة من الوقت مرت بى عـدت الى الفندق ـ ورأيتك يا ناهد تقفين بباب الغرفة مذعورة والشحوب يملأ وجهك ـ وصرخت في وجهى ـ ولـم أنظـر اليـك سـاعتها فاننى أصبحت أخجل من النظر الى وجهك ، اننى لا أعرف ما الذى سـوف تقولينه عـنى عنـدما تعـرفين الحقيقيـة وما الذى سوف تفعلينه يا حياتى وسمعت صوتك الهـادىء الذى يزيد حياتى عذابا وشقاء وانت تقولين .

ـ ماذا حـدث ؟ بالله عليـك خبرنى ، افتح لى قلبـك . حرام عليك يا أحمد ماذا فعلت بنفسك ؟

ولم أنطق ولم التفت اليك ، والقيت بنفسى فـوق أحـــد المقـاعد الموضـوعة بالغرفة واعـددت لى مشروبا وجلست بجوارى ياناهد وانت تجهشين بالبكاء ٠

ـ أرجوك يا احمد تكلم ؟ ماذا فعلت معك حتى تعذبنى هذا العذاب .. هل رايت فتاة يهجرها عريسها ليلة زفافها هاربا ويتركها حطاما بدون أن تعرف ماذا جنت حتى يفعل معها ذلك ٠

تكلم ارجوك يا احمد فانا لم اذق طعما للنـوم منـذ ثلاثة أيام ٠

... وتركتك ياناهد ، لم اتكلم وانا في حيرة مـن أمرى ماذا اقول لك وما ذنبك أنت حـتى تتحملين معى ذنبى ، ولكن لو لم أتكلم فماذا سوف يكون مصيرك ، هل ستعيشين معى زوجة ؟ مستحيل فالشـك يعصر قلبى ـ يقتلنى ـ ماذا افعل يارب أرشدنى وارحمنى يا الهى ، ارجـوك أن ترفـع عذابك عنى ولو من أجل تلك المسكينة البريئة التى لا تدرى من أمرها شيئا ، ولا تعرف ماذا حدث الآن ٠

واصبت بنوبة من البكـاء الحـاد لم أشعر فيهـا بشىء سوى الألم الحـاد الذى ألم بى وبقلبى الجـريح ورايتــك

جـــوارى تجلســـين وارتديت الروب ونزلت للجـلوس فى استراحة الفندق وكانت الساعة قـد جاوزت الثانيــة عشرة بعد منتصف الليل .

ـ الى أين يا أحمد ؟

ـ ســوف انزل للجـلوس فى الاستراحــة بعض الوقت ،

وتركتك ونزلت الى أقرب كرسى والقيت بنفسى ولـم اشـعر الا بأحد السعاة وهو يقترب منى .

ـ أستاذ أحمـد .

ـ أيوه .

ـ توجد رسالة لسيادتك تفضل لاستلامها .

وقمت معه وهناك رأيت مظروفا من الحجم الكبير وامســكت بالمظروف وأنا اتساءل .

ـ منذ متى وصلت هذه الرسالة ؟

ـ لقد أحضرتها منذ نصف ساعة سيدة وطلبت توصيلهـا لسيادتك .

وسرت الى المـكان الذى كنت اجلس فيــه وأنا أردد بينى

وبين بنفسى حتى الرسائل هى الأخرى لا تجيء فى الوقت المناسب ، وامسكت بالظروف وأنا أقلب فيه ذات اليمين وذات اليسار ، من يكون صاحب هذه الرسالة ؟ .. ووضعتها أمامى وأشعلت احدى السجائر ، سوف افضها عندما أصعد الى أعلى ، ولكنى نظرت اليها مرة أخرى ومددت يدى اليها بدون شعور وفضضتها وأخرجت من المظروف ورقتين بحجم الفلوسكاب ، وبدأت فى القراءة وانا لا اعرف ماذا تحمل هذه الورقات بين طياتها .

وكانت البداية — هى

عزيزى أحمد .

اننى أرسل اليك هذه الرسالة وأنا فى حالة من العذاب النفسى الذى يحيط بى ، لقد علمت انك موجود بالأسكندرية منذ اربعة أيام وانك جئت لقضاء شهر العسل ولكنى أقول لك . ياعزيزى اننى لن أجعلك تقضى هذا الشهر كما تريد ، لقد جاء الانتقام ، ستة عشرة عاما من العذاب وانا أنتظر هذه الساعة حتى انتقم منك كما انتقمت منى .. اننى أعرف انك تعيش الآن فى دوامة من العذاب ولكنى لن أقول لك عن السر الآن ، سوف تعرفه بعد أن تتذوق مرارة العذاب والحرمان والشقاء الذى أعيش فيه الآن . اننى لا أعرف

ماذا أقول لك الانسان ذو القلب القاسى . ماذا أقول يا مــن
اقفلت في وجهى باب بيتك ، ماذا أقول لك ياصديقى الذى
جعلت الأيام تباعد بينى وبينك بدون سبب . أنت الوحيــد
بين الناس الذى يعرف قصة المرأة المعذبة التى تســير الآن
تائهة فى شوارع الاسكندرية ، تبحث عن كل شىء ولا تجد
أى شىء فهى تعيش معذبة على الأرض وتنــام كل ليــلة فى
أسواق الرقيق الأبيض . أيها الرجــل الذى كان فى المــاضى
يحبنى قل لى ماذا أقول لك ؟

وأنا الذى عشت فى صــمت أعواما طــويلة ــ عشت بين
الألم والدموع والاحزان ، والعذاب .. كنت أرسل ابتسامتى
بينمـــا قلبى ينزف دماء ويعيش فى رعب ، وكنت أحــترق
كشمعة تحترق من الطرفين بنيران الخطايا وعذاب الجسد ،
ولم يبق على تلك الأجساد البشرية الا رحمة ذل وعار تسير
بهــا .

لا أجد سوى الدموع التى أنزفها كل ليلة أحــاول ان اطفىء
بها نيران الخطيئة .

أرأيت كم أنا طيبة وبريئة وطاهرة ؟

أرأيت أننى مازلت تلك المــرأة ذات القلب الحنــون التى

عرفتها فى الماضى وكنت اسند رأسى على ذراعيك ، ونمشى على دروب الحب فى صمت ورياح الشهوة العمياء - تعصف بنـــا .

لا تخف ياحبيبى .

لا تخف اننى لا اطلب منك أن تعود بالماضى ولكننى سأروى لك احلى الحكايات ، عن الأيام السوداء ، عن صراعى مـــع المجهول عن قلبى ، الذى لم يعرف سواك ، عن جسدى الذى كنت تقول لى عنه انّه جسد ملاك ، عن حياتى التى مزقتها بالحقد الأسود ، بالغيرة العمياء التى كانت تعصف بقلبك ، وسوف اقص عليك كل شيء مربى منذ ان افترقنا حتى الآن .

. . . يا الهى ما أروع لحظـــات الأنتقام ، وما أروعك وانت تبكى بدموع هى انهـــار من الدماء ولكنه هو الانتقـــام .

اننى احيا بالدموع ، وبالألم تستمر حياتى ولولا الدموع ولولا الألم لكنت واحـــدة من العبيد فى سوق الرقيق .

انى اعيش الآن وحيدة ، بالأمس كنت وحـــدى ، واليـــوم انا وحدى وغـــدا سأكون وحدى ، ومع ذلك فهـــذا لا يهم انا وحدى سواء كنت مع النـــاس أســـمع صراخهم ، أم كنت في غرفتى المقفلة أبحث عن نفسى .

من أنا ؟

أنا لست الا حيرة وألم وشقاء وبؤس ولا شيء غير ذلك .

أنا المرأة التى سجد لها العظماء وهم يقبلون قدميهـــا .

وأنا الابتسامة التى أمنحها للأجساد المعذبة التى تعيش في غرفتى المقفلة أبحث عن نفسى .

فأ أنا الآن أعيش مع بنات الليل بين أحضان الخطيئة .
أعرفت من أنا الآن .

أنا أحببتك أيهـا الانســان الذى لم يعرف الحب الا بين ذراعى ، ومع ذلك تجدنى الآن أرقد فى أحضان أى انسان ، أرقـد فى أحضـان من يدفع ، وأجدهـم مـن حـولى يهتزون ويرتجفون ويحومون حول جسدى العارى وعيونهم الحمراء الجامعة تحاول أن تفترسنى واسمع صراخهم وأنا أرقص لهم وأتلاعب بأعصـابهم أسمع صراخهم وكأنه عـواء الذئاب فى ليالى الشتاء وهم سكارى حيارى ، جياع .

الآن فقط عرفت قيمة جسدى المثير بقوته وسيطرته وارسم على شفتى ابتسامة كاذبة ، أخفى من ورائها مأساة الانسانة الطيبة البريئة التى تعيش فى غابة مليئة بالذئاب .

ماذا بعد ؟ لا شيء ، أنا الضحية وهم كذلك ، ضحايا ،
انني ابكي لأنني لو انصفت لكنت الآن معك ، يدى فى يدك ،
قلبك فى قلبى ، عياك فى عينى .

لم تلك الأحلام . ؟؟

لماذا أعيش معها ، لماذا لا أعيش الواقع المرير وأتذكر
ولو مرة واحدة انني مهما حاولت أن أهرب من نيران
الخطايا ، فان هذا مستحيل ، لقد نشأت في هذا الطريق
ومع ذلك أنا لست ابنة شارع الخطيئة ، ألست أنت الذى
قلت لى انني ملاك هبط على حياتك في ليلة برد وصقيع .
وشعرت بالدفء معه ، هل فعلا كنت تصدق فى ذلك
يا حبيبى ؟

قل أيها الغريب ، أيها الرجل الذى لم أحاول أن اخنه
حتى بأفكارى ومع ذلك انتصر الشيطان وضاع حبنا ،
انني أعيش الآن فى دوامة من الصراع والخوف خائفة عليك ،
وعلى من تعيش معك فهى حياتى ، انك لن تجد انسانة
تفتح لك ذراعيها كما فتحت لك ذراعى ولن تعثر على من
تحبك بقدر حبى لك . كم أنا جاهلة !

انني مهما حاولت أن ابتعد عن الواقع فلن أفلح فانني
الآن فى صراع مع الزمن والطموح والكبرياء الذى فى قلبى ،

ومع ذلك أشعر بأننى لست انسانة ، لها كيان فى مجتمع كله ذئاب .

يا عزيزى ، اتعرف من أنا الآن .. اننى سأقص عليك ما حدث معى بالأمس وما يحدث معى كل يوم .

... الآن دخلت غرفتى بعد ان كلت قدماى من السير فى الشوارع ودخل من ورائى من يرسم على شفتيه ابتسامة غبية .

اننى لا أعرف ماذا يريد هذا الجاهل ؟

أنه يريد جسدى .

ابتسمت له بكل ثغرى الشهى ونظرت اليه بعينين كاذبتين ، أن نيران الخطيئة تحاصرنى ومع ذلك أقاوم والعن فى نفسى ذلك الجسد .. جسدى ، كم اكرهك يا جسدى ، كم احتقرك يا من تمردت وثرت وتجبرت أيها المتكبر الذى تعيش وتتحدى نيران الخطيئة ، اننى لم اعد ارى شيئا فى تلك الأيام والحياة ، ولم أعد اسمع سوى صراخ ذئاب جياع ، لقد ضاعت ابتسامتى الكاذبة على وجهى ، لقد تعبت وتذكرتك الآن ، ليتك كنت معى لتصفعنى على وجهى . لأشعر بأن هناك رجل يغار على .

ومع ذلك أقول لك يا صديقى اننى مظلومة فأنا أسير بين الأشـواك التى تدمى الأقـدام مجبرة . اننى اكـره الورود الحمراء وأحب الوردة البيضاء التى طالما تحـدثنا عنهـا ، تلك الوردة التى جعلتنى ادفع الثمن غاليـا ، قبـل أن اخط رسالتى اليك ، وانا خارجة من احد الملاهى ، كنت أفـكر في طعام أسد به رمقى لكى اسكت صراخ الأمعاء بين جـوانحى ولم أكن افكر بشىء ، سوى اننى لهذا اكافح ولكن الى متى وأين ستكون النهاية ؟ هذا ما لا أعرفه .

ورايت صبيا مبتور الساق كان يبيع الأزهار للسـكارى وتقدم منى وقدم لى وردة بيضاء وهمس بخجل « سيدتى » ، لم ابع وردة حتى الآن ، ومددت يدى والصبى يرتعد خوفا .

تعالى ، لا تخف ، واقترب الصبى منى ويداه ترتعشان ، ماذا بك ؟

ـ لا شىء ، أبى يضربنى ان لم اعـد ومعى ما يكفى لشراء الطعام والى الآن لم أبع وردة ، أبى عجوز ، وماتت أمـى وأصـبحنا متشردين وتذكرتك فورا يا صـديقى ودفعت كل ما معى من مال فى يدى الصبى ورحت أقبله ثم وقعت الوردة البيضاء فوق صدرى بالله ما أروع تلك الوردة وما اروع ذلك الصبى الأعرج ، وما أروع الحياة اذا كانت من أجل شىء ما ،

ألسنا أنا والصبى مشتركان ، هو يبيع نفسه للحصول على ما يسد رمق أب عجوز . وأنا أبيع جسدى من أجل لقمة لا أدرى لهـا طعما ، وعدت وأنا لا أمتلك شـيئا ، لا شىء يا حبيبى ، حتى المال ضاع منى . تصدقت به ، ومـع ذلك فأنا أبحث عن المال ، أبحث عنه فى هذا الطريق مـع هؤلاء الجياع الذين أحتقرهم . . لقد أرسلت لك هذه الرسالة لكى أزيد فى عذاب نفسك كما أسير أنا الآن ، معذبة النفس ، لقد حانت ساعة الأنتقام منك يا من حطمت قلبى . . انّنى أعرف أنك تعيش فى عذاب وقلق من أجل فعلتك الشنيعة ، وسوف تتزوج من غيرى ولكنك لن تعيش معها فى سـعادة اننى لن أقول لك أين تجدنى ، فـا أنا لم أعد أطيق رؤياك ولكننى الآن أنا فى سـعادة لا مثيل لها وأخيرا أرسـل لك تحيـاتى مبللة بدموع الآهات والآلام التى فى قلبى .

وأنتهت الرسـالة عند هـذا الحـد لم يكن هنـاك توقيع ولكننى عرفت من هى التى أرسلتها ، فهى سبب شـقائى . . هى التى تحمل السر الأكبر ، وكنت أظنهـا سـوف تفصـح عنه في رسالتها ، ولـكنها تريد الأنتقام منى . . ولذلك فهى تزيد في عذابى . . ولكننى سوف أبحث عنهـا ، لن أتركهـا طالمـا هى موجـودة هنـا . . سـاعدنى يارب . . خـذ بيدى . . ودلنى عليهـا .

... ما أشد انتقام المرأة .. فالمرأة شيطان فى ثوب انسان . واذا كان الله قد أراد للانسان العذاب فى حياته فلقد خلق له المرأة لكى تزيد فى عذابه . وتكيد له حتى يكفر بما حوله . ويترك الحياة وليس به ذرة من الأسف عليها .

... وفى منتصف الليل قمت من نومى مذعورا . لم يكن ذرما بل اغتشاء بسيطا ورايتك يا ناهد وانت تجلسين بجوارى .

واشفقت عليك وقررت أن اقول لك الحقيقة وليحدث ما يحدث بعد ذلك . الم يرد القدر ذلك . اذا هو المسئول عما يحدث ونظرت اليك وانا اقول .

ـ ناهد .

ـ نعم يا أحمد .

وحاولت أن انطق فلم اقدر !! ماذا اقول لك يا عزيزتى عن العذاب الذى أعيش فيه .

ـ أعطينى كوبا من الماء .

وقمت مسرعة ونظرت اليك وانت تسيرين وقد تهدل

شعرك فوق كتفيك . ما أجملك يافتاتى ... ما ذنبك حتى تتعذبين معى . وتناولت منك الماء وانت تقولين . ألن تتكلم يا أحمد وتتحدث عما بك ؟

– لا شيء ياحياتى . فأنا مرهق لا اكثر ولا اقل .

– لا يا أحمد . ليس هذا ارهاق ان عينيك تحملان سرا كبيرا ولم أنطق واطبق الصمت على كل ما فى جسدى من حياة .

وفى الصباح خرجت للسير على شاطىء البحر ولم أتناول شيئا من الطعام . وجلست على أحد المقاعد الموجودة على كورنيش الأسكندرية .

وأنا أتلفت يمينًا ويسارا . الساعة الآن التاسعة والنصف والحياة تدب فى الشوارع من حولى وعلى البعد رأيت خيالا يتقدم منى جعلنى أفغر فمي في دهشة . وتقدم منى الخيال وهو يصرخ .

– أحمد مش معقول ؟

– عادل ماذا جاء بك الى هنا ؟

– جئت لشراء أخشاب للشركة .

– ولكن أنت ماذا بك . اننى اعرف انك تقضى شهر

العسل ولكن الذى أمامى ليس منظر عريس ، بل هو منظر
من فقد انسانا عزيزا ؟ هل حدث شىء .

ـ لا . لا يوجد شىء ولكنها الحياة .

ـ لا يا أحمد هناك سر في حياتك وانا صديقك ولابد أن
اعرف هذا السر حتى يمكن مساعدتك .

ـ لن تقدر يا عادل فهى مشكلة كبيرة . واننى أشكرك
على شعورك هذا .

ـ لن اتركك يا أحمد هيا معى .

وصمم على ان أقوم معه للعودة الى الفندق الذى يقيم به
وبعد محاولات قررت الذهاب معه . وحاول ان يستدرجنى
فى الطريق حتى أتكلم معه عما بداخلى حتى ذهبنا الى الفندق
وكان قريبا من المكان الذى أقيم به .

وجلسنا نحتسى أكواب البيرة . وسألته متى تعود

ـ سوف أعود غدا للشركة ولكننى مستعد أن أؤجل
السفر ان كان هناك شىء تريده منى يا احمد وأرجوك أن
تفصح عما بقلبك ونظرت اليه وانا أقول ماذا يضرنى

لو حدثته عما يعذبنى . ألا يجوز ان أجد معه حلا يفيدنى . انه صديقى ويعرف من حياتى أكثر مما أعرف أنا ... ولكن لم أستطيع أن أحدثه عن أى شىء فى الماضى ... والآن سوف أقول له عن كل شىء .

ـ عادل أتريد أن تعرف ما بى .

ـ ليت ذلك يا أحمد .

اذن سوف أقص عليك قصة حياتى من البداية وأرجو أن ترشدنى الى الحل السليم ...

واعتدلت فى جلستى وأخرجت علبة السجائر من جيبى نهى السلوى الوحيدة بالنسبة لى . هى الطعام والشراب الذى عشت به الأيام الماضية .

وكان صمتى يرهق النفوس المترقبة الى معرفة الحقيقة .

والهم يضنينى ويتجمع فى راسى قبل أن ينفجر ويفيض على لسانى .

لقد كان صمتنا طويلا . ولكن ترددى كان أطول . وظللت أنظر الى الفضاء الخارجى من النافذة بثبات عجيب وبصرى مشدود الى الأفق بخيوط غير منظورة ، وران على

المكان سكون كئيب وأحسست بأننى لا أرى من حولى شيئا يستحق الذكر .

فكل شيء من حولى وهم وخيال .

لقد تبدد الألم الذى اضنانى وأحال حياتى الى جحيم . تبدد كما تتبدد الأحلام وأصبحت ذكراه البعيدة تشبه ضبابا خفيفا وسرابا لا أستطيع الوصول اليه فهو يتطاير من أمامى . ولا أعرف ما هو هذا الألم الخفى الذى مازالت أشقى به . وكم من مرات أبكانى ، لقد كان ألما مبتذلا ما يصيب الجميع . ولكن لا أظن أن أحدا مثلى تعذب وذاق هذا العذاب الذى أنا فيه .

اننى سوف اتكلم يا عادل وانا واثق منك . سوف أدع هذا القلب العليل يحكى ما حدث له . فان الصمت هو الموت .

سوف أتكلم حتى أستريح من وخزات الضمير الذى لا أدرى بأى اسم أسميه .

فوالله ما كان بمقدور أى من البشر أن يتحمل مثل ما تحملت من العذاب .

اننى لا أعرف ما اذا كان هذا الذى سأحدثك عنه هو

حب ام كبرياء .. ام محنة امـر بهـــا سـوف أقص عليــك ونحن فى خلوتنا هذه التى تجلس فيها يا عادل كل شيء ولك بعد ذلك الحكم .

***

.. ما أعذب البكاء والدموع التى نذرفها غـير آسـفين عليها . أو ما أعذب الابتسامة والسعادة التى نعيش فيهـا كلما تذكرنا الآما لا نستطيع أن ننساها .

هل تعلم مبلغ الآلم والعذاب الذى تستطيع ان تحـدثه امرأة بقلب انسان ضحى بنفسه لسعادتها ولـكنه لم يجـد الى جوراها ومضة من السعادة . لم اكن ادرى الى أين يقودنى القـــدر .

ومن أين لى العلم بما قد يحدث وما يحل . لقـد حـل بى ما يحل بالمجرم من عذاب .

وعشت فى أحلام والآم وهذيان .

وأنا أقـول لنفسى .

يا الهى أما آن لآلام تلك الحيـــاة ان تحث خطـــاها الى النسـيان .

... لقـد أصـبحت فى صراع قاتل . وشـك مميت . كل

مـن حـولى اشـك فيـه حتى الدموع لم اعد اصـدقها فهى دموع اسـتجداء . وتذرفهـا المرأة لتحصل على العطف مـن انسان مخدوع . لقد كنت ساذجا كطفل . كان قلبى غـريرا فخدعته تلك المرأة بابتسامتها وتركت وراءها بعـد أن ذهبت جروحا لن تندمل ودموعا تفجرت مـن عيون حزينـة حـزنا رهيبا . لكنها لن تجف . . . ومع ذلك فاننى أرحمها . لقـد أنزلت بى من الآلام الجسـيمة ما هو كفيل بتحطيم جسـدى وتشريد حياتى ، لقد أحببتها بصدق ولكن القضاء شـاء أن يحطم قلبى على يديها . لقد مر حـبى بحلم طـويل . كانت دموعها كاذبة لم تكن رحيمة بى . لقد ذرفت الدموع عليها وانا اطردها من منزلى . . لاننى كنت احبها ولكننى كنت مخطئـا فيمـا توهمت من مشاعرى وأحساسى في الحيـاة التى كنت اعيش فيها عـذبت نفسى وتشردت حيـاتى مـن أجل تلك المخلوقة التى لا تعرف معنى للحياة . فهى مستعدة أن تبيـع نفسها وشرفها في مقابل كلمة تسمعها من عاشق ولهان يتعبد فيها فلا الخجل ولا العار ولا الأدب ولا الجبن يدفع المرأة أن تكون أمينة لزوجهـا او قلبهـا انما السـبب الوحيـد الذى يجعلها شريفة هو عدم وجود عاشق يحبها .

فالمرأة حية رقطاء تسـير وهى تنفث السـموم بين البشر لا تعرف ضميرا ولا اخلاقا ولكن ماذا نفعل ونحن نريد منهـا

كل ذلك . انها خائنة . خائنة . فى كل مكان وزمان . ومع ذلك فالقانون يقتص من اللص والقاتل أما المرأة الخائنة فيقول « طلقها » هذا هو أفضل دواء لذلك الداء ولكن هل الطلاق سوف يجعلها تندم . لا . بل سوف تزداد السموم التى تنفثها بين البشر فقلب المرأة هو أشبه بفندق فهذا اليوم وذلك غدا . فهذا مقبل والآخر مودع . ومع ذلك فنحن من بطن تلك المخلوقة التى تتلاعب بنا مثل النسيم بأوراق الزهور . والنار فى هشيم الحطب .

... المهم ياعادل لن أطيل عليك فى الحديث سوف أقص عليك قصة تلك المخلوقة التى تلاعبت بى وسوف أعود بك الى الوراء لكى اسرد عليك سبب شقائى وعذابى .

... منذ ما يقرب من سبعة عشرة عاما وانا فى العشرين من عمرى . كنت قد حصلت على المؤهل الذى يعدنى للالتحاق بكلية الهندسة وجئت الى القاهرة لكى التحق بالكلية وأنا أحمل فى قلبى كل آمال الشباب . كانت آمالا كثيرة .

كنت قد تركت أهلى واستأجرت غرفة فى احد المنازل فى حى من الأحياء الشعبية بالقاهرة . لم يكن هناك صديق التجىء اليه فى هذه اللحظات العصيبة التى تمر بى فلم يكن

لى اصدقاء أثق بهم ، كنت اكره أى انسان يقترب منى وكنت اشعر فى قرارة نفسى أن ذلك الانسان أو الشخص الذى يحاول ان يقيم معى علاقات او صداقة انما يبحث عن مصلحته فى ذلك أولا واخيرا . لذلك فضلت أن أعيش وحيدا فلا يوجد أنيس ولا صديق ومن ناحية أخرى كان أبى يرسل لى مبلغا بسيطا من المال لايتجاوز الخمسة جنيهات شهريا . منهم المأكل والملبس والمسكن ومصاريف الكتب لذلك كنت أحرم نفسى من القوت الضرورى لى حتى ادخر ايجار المسكن الذى اقطن به . كانت تمر بى أيام لا اجد فيها قرشا واحدا وكنت أنتظر ولا أبرح الغرفة حتى يصلنى مبلغ الخمسة جنيهات الشهرية .

لذلك كنت أعيش بائسا العن هذه الحياة التى جئت اليها . كنت انظر الى الناس الذين يجرون ويمرحون واقول فى نفسى لماذا كل ذلك . لم لا اكن مثلهم أعيش عيشتهم ؟

لم اكن أدرى أن أبى المسكين يكافح لكى أحصل على المؤهل العالى . لقد كان يحرم أخوتى ويحرم نفسه حتى يتمكن من ارسال المصاريف الشهرية . كان يعيش فى حرمان قاسى من اجل تعليم ابنه . ما أطيب قلب الآباء ، كان

يريد ان يشعر بين أهل قريتنا ان له ابنـا مرموقا يعمـل بالقـاهرة ولم يكن مهمـا أن يحـرم نفسـه مـن شيء هو فى مسيس الحاجة اليه ولكن المهم هو أن يشعر فى قـرارة نفسه انه قد ادى الواجب وهو تعليم ابنائه .

ومع ذلك كنت اشعر بسخط نحوه . لقـد عشت عاما لم ألمح شعاعا من السعادة يطل لى . كنت اخرج من الحجـرة فلا أعود الا بعـد غروب الشمس حتى لا يرانى احد . فـلم يكن أحد من أهل المنزل يعرفنى ولم احاول الاختلاط بهم .

لذلك عشت محروما من كل شىء جميل فى الحياة . كنت اكره كل الناس بدون سبب . حتى التحيـة لم اكن القيهـا عليهم ند رؤيتى لهم . وذلك من فرط الخجل الشـديد . كنت ذا احساس غريب وكم من مرات سـمعت بأذنى منهم اننى متكبر . ذو نفس متعالية . لـم أعبأ بذلك . فقـد كان كل همى الحصول على اكبر قدر ممكن مـن التعليم . والتفـوق لتعويض ذلك الشقاء الذى كنت أعانيه . وكذلك كانوا هـم يتحاشون الاختلاط بى .

عشت على ذلك الوضع ما يقرب من العـام . وفى ليـلة سمعت طرقات على الباب فقمت لكى ارى من الطـارق واذا

بى أمام شـــاب طـويل القـامة يرتدى بيجامة . وسـمعته يقـول .

ـ مساء الخير يا أستاذ أحمـد .

فرددت عليه التحية وطلبت منه الدخـول فدخـل الحجرة وهو يقـول :

ـ ارجو أن لا أكون قد أزعجتك .

فابتسمت وأنا أردد .

ـ لا يا أخى لقـد شرفتنى . ولم يكن هنـاك شيء ليجلس عليه فطلبت منه الجلوس الى جوارى على السرير وأنا أقول له : لكنك لم تعرفنى بنفسك الى الآن .

ـ أنا حسن أقيم في الحجرة المجاورة لك .

ـ ونظرت اليه بدهشة عجيبة . هذا الشـخص يسـكن بجوارى ولم أره من قبل .

ـ منذ متى يا أستاذ حسن .

ـ من اول العام الدراسى وأنا اسكن في تلك الحجرة القذرة التى أعيش فيهـا فى صراع مع البق والصراصير وحرب دامية بين الفئران ويعشعش بها العنكبوت . وأجارك الله يا أستاذ أحمد من الرطوبة التى تجعلنى لا أعرف رأسى من رجلى .

ـ والأستاذ طالب فين ؟

ـ بكلية أصول الدين وسوف اتخرج فى نهاية هذا العام .

وجلست فى خجل شديد فلا يوجد عندى ما اقدمه من المشروبات لهذا الضيف واعتذرت عن ذلك .

ـ أرجوك يا أستاذ حسن ألا تؤاخذنى لأننى لم اقم معك بواجبات الضيافة .

ـ لا يا أستاذ أحمد فليست الحكاية هى تقديم شىء ولكن الحكاية هى أخلاصنا . فان اخلاص النفوس هو المشروب الوحيد الذى يجب أن يقدم فى ساعة اللقاء فما هى الفائدة من انك تستقبلنى فى منزلك وترحب بى وعندما اهم بالخروج اجد الطعنات مسددة الى ظهرى .

المهم يا أستاذ أحمد لن أطيل عليك . لقد جئت اليك فى طلب انسانى وعشمى فيك كبير .

اننى يا اخى لم اذق طعاما منذ يومين حيث ان الأسرة لم ترسل لى المال ولا مصروف الشهر حتى الآن وأنا لم أعد أملك مليما واحدا . لذلك لم اخرج طوال هذه الأيام . ولكن عندما ازدادت حدة الجوع قررت أن التجىء اليك . عسى أن

أجد عندك ما يكفينى يوما . فاننى أرسلت لهم تلغرافا اليوم لكى أعرف سبب التأخير .

ونظرت اليه باستغراب فنحن الآن فى العاشر مـن الشهر ولم يكن معى الا مبلغ بسيط حوالى جنيهان همـا البـاقى من الخمسة جنيهات بعد سداد كل الالتزامات ولم ادرى ماذا افعل هل من الحكمة ان أرد جائعا جاء يطلب طعاما ولكن اذا أعطيته مبلغا من المال كيف أعيش أنا وقررت أن أشرح له الموقف ولكن لا . فهو لن يصدق . وقلت له .

ـ لقـد احزنتنى يا أسـتاذ حسـن فلقـد كنت اظن اننى الوحيد الذى يعانى مـن الجوع أياما كثـيرة . ولكن هنـاك من يعيش مثلى واننى آسف يا حسـن اذا كنت أقـول لك اننى لا أمتلك سوى جنيهين سـوف أعطيك منهمـا مبـلغ خمسين قرشـا وذلك لحين أن تصلك المصـاريف الشهرية .

ومن يومها ياعادل نشـأت بينى بينه صـداقة قـوية وأصبحت أذهب اليـه ، كنت أشـعر الى جـواره بالارتياح العظيم وأشرح له ما يجرى ويمر بى من مضايقات في يومى .

وظللنا على هـذا الحال بضـعة شهور وأصبحنا لا نفترق وكنت أتلهف للعودة للمنزل للجلوس معه .

ومع مرور الأيام تعرفت على السكان المحيطين بنا وعرفت منه أنه توجد سيدة تدعى الهام تسكن أمامنا هى وحيدة لا عائل لها تخرج مع غروب الشمس فلا تعود الا مع شروقها وعلى ما أظن فانها مطلقة .

ولم احاول أن اطرق باب هذا الموضوع مرة أخرى ولكن يا عادل هذه هى المرأة التى أصبحت فيما بعد سر شقائى وعذابى . وأخرجت علبة السجائر وأشعلت منها سيجارة جديدة وكان عادل يجلس أمامى في انتباه شديد وحرص على الا تمر منى كلمة بدون أن يعرف سرها .

لم تسألنى يا عادل كيف دخلت تلك المرأة حياتى ؟

سوف أجيبك أنا عن هذا السؤال .

فى ليلة من ليالى الشتاء القارس . كانت الأمطار تهطل بشدة . وبعد أن أغلقت النافذة . وأحسست بجسدى يرتجف من شدة البرد حاولت أن أبحث عن شىء يبعث الدفء فى الحجرة فلم أجد حلا سوى أن القى بنفسى تحت الغطاء لكى أتقى شر هذا الصقيع .

وغفوت يومها يا عادل اغفاءة بسيطة قمت بعدها مذعورا على صوت ارتطام شىء دوى له صوت أشبه بجسد ثقيل

يسقط فجأة وقمت من نومى أبحث عن مصدر هذا الصـــوت فلم أجد فى الحجرة شيئا وجريت الى البـاب أتلمس طريقى وبينما أنا أهـم بالخروج اذا بى أمام جسـد امرأة فى مقتبل العمر منبطحـة على وجههـا والدماء تنزف منهـا وعدت الى الحجرة مرة أخـرى وأحضرت المصـباح لكى أتبين مـن هى ورأيت وجها تعلوه صـفره الموت لا حيـاة به . وجه يحمـل البؤس يدعو الى الاشفاق ، كانت هى التى طالما كلمنى حسن عنها . كانت هى الهام لقد أصيبت فى جبهتها من أثر الارتطام بالأرض . وحاولت ان اسـاعدها على الدخـول الى حجرتى ولكنها كانت فى شبه اغمـاء وفى هذه الأثناء خرج حسن وهو ممسك بيده بلمبة الجاز ينير بها فصرخت فيه وأنا أقـول .

ــ يا حسن . الهام قد أغمى عليها .

وجاء مسرعا . وحملنـاها وارقدتها عـلى السرير وطلبت منه احضار كوب من المـاء وأنا أحاول أن اجعلها تتكلم بعـد ان اخرجت منديلى وضـمدت لهـا الجـرح لأوقف الدماء التى كانت تنزف منه . وجاء حسن وهو يحمل الماء أشبه بالتائه لا يدرى ماذا يفعل .

وبدأت تفتح عينيهـا ، وكنت أنـا وحسـن نقف حائرين لا ندرى ماذا نفعـل فلا أمل في اسـتدعاء الطبيب حيث أنـه

لا توجد معنا نقود . وتساءلت بيني وبين نفسي هل هذا من العدل أن نرى المصاب يتألم امامنا ولا نملك حق استدعاء من يرفع عنه هذا الألم وذلك بسبب تلك الأوراق التي نتعامل بهـا .

ورأيت جسدها يتحرك امامي وهي تتأوه في انين خافت .

ـ الهام ماذا بك !

نطق حسن بهذا السؤال ووقفت أنا في صمت حيث اني لا اعرفها ولم يسبق لي الاختلاط بها ونطقت بكلمات غير مفهومة والقيت بالغطاء على جسدها واعددت لها كوبا من الليمون .

وطلبت منها ان تتناوله وأنا أقول لها .

ـ ما بك يا مدام ؟

ورفعت عينيها الي في حسرة واعتدلت فوق السرير .

وهي تحاول أن تشد الغطاء على جسدها وهي تقول .

ـ أين أنا ؟ ماذا حدث ؟

ـ لا شيء يا سيدتي . اغماء بسيط .

وسمعتها وهي تردد يارب لم هذا العذاب . ماذا فعلت

حتى تصب على لجام غضبك . يارب الا يوجد مكان للرحمة فى هذا العالم أم أنه قد حكم على بالشقاء وحدى .

وطلبت منى كوبا من الماء وكان حسن يجلس الى جوارى فنهض لاحضار الماء . ورأيت يومها يا عادل وجهـا لـم أرى له مثيلا من قبل . كانت جميلة وشـعرها الفاحم ملقى عـلى وجهها يزيدها سحرا . رايت وجهـا مشرقا يشـع ضـوءه فى الحجر ة، وعشت مع هذا الجمال لحظـات لـم أكـد أميز فيها شـيئا غيره . كانت ملء المكان الذى تجلس فيـه . واتخذت لهـا من بين حنايا ضلوعى مرقدا . وهيأت لها فى ثنايا قلبى مضجعا واصبحث ملء خاطـرى لا تغيب عنى فى يقظـة أو منام ، لقـد فاقت بوجههـا الوردى هـالة البـدر جمالا . وألقت بسهام الحب الى قلبى . ومادرت أن الفؤاد قد اشتعل . وتكلمت العيون كلمات يفهمها القلب .

أجل يا الهـام .

كنت دائما معى . منذ تلك اللحظات .

مـلء قلبى ، مـلء نظرى ، وسمعى .

وجلست أسائل نفسى عمـا اذا كان ذلك منظرا سـماويا أرسله الله ثم أخذه منى . ورايتها تنظـر الى وهى تقـول .

يا أستاذ . هل من الممكن أن أعود الى غرفتى .

ورفضت . فهى مريضة ودرجة حرارتها مرتفعة ولا يمكن أن تخرج فى هذا الوقت من الليل وطلبت منها أن تكمل الليلة هنا وفي الصباح تعود الى غرفتها . على الأقل تجد من يقوم برعايتها .

ووافقت على ذلك .

وخرجت أنا وحسن لكى ننام في حجرته . على أن نعود اليها بعد لحظات ولكن يا عادل لم يغمض لى جفن فى تلك الليلة وكان حسن ينام فى سبات عميق لا يدرى ما بى . لقد كانت الدقائق تمر بى كأنها أعوام لا نهاية لها .

* * *

ـ أرسلت الشمس أشعتها الذهبية من خلال فتحات النافذة الى الحجرة واستيقظت من النوم وتناولت طعام الافطار أنا وحسن وخرج للذهاب الى الكلية على أن يعود مبكرا .

وطلب منى العناية بالهام لحين حضوره حيث اننى سوف أذهب الى الكلية اليوم بعد الظهر . وعدت الى الحجرة وفتحت الباب ورأيت الهام وهى تجلس على حافة السرير فى شبه خوف .

ـ صباح الخير ، وراجو ان تكونى فى صحة جيدة اليوم .

ـ الحمد لله .

وجلست امامها ولكننى تذكرت طعام الأفطار وقمت لاحضار بعض السندوتشات مع كوب من اللبن وطلبت منها ان تتناول ذلك لكنها تناولت اللبن فقط .

ـ ما هذا الذى حدث أمس يامدام .

وجهت هذا السؤال اليها ولكنها لم تنطق بل ظلت صامتة تفكر وهى تنظر الى ببلاهة وأنا اختلس النظر اليها . كانت امرأة فى ريعان الشباب لم تتجاوز الثلاثين من عمرها . وشعرها الناعم يزيدها جاذبية وترسم على وجهها ابتسامة ساحرة .

وفجاة رأيتها تلقى بنفسها على السرير وهى تبكى بكاء يقطع القلب فذهبت اليها وانا اقول لها ما بك يا مدام ، هل حدث شىء ؟

ولم أسمع صدى لصوتى . بل ظلت ترسل دموعها واعتدلت فوق السرير وهى تقول .

ـ اتريد أن تعرف ماذا يبكينى ؟

دون أن تعرف ، ودون أن تدرى أننى ابكى واريد ان أبوح بكل همومى الى كل انسان ، أريد ان اطرح هذا الحمل الثقيل الذى يرقد فوق صدرى الجاثم فوق انفاسى . لقـد تحطمت يا أستاذ أحمد وأصبحت أمرأة لا مسـتقبل لها ولا حيـاة . اننى أعيش كضبابة غريبة تفترش الوادى .

أريد أن أصرخ . فـا أنا أعيش فى وحدة قاتلة .

ماذا بك يا الهام تكلمى ؟

وتكلمت يومها ولكنها بدلا من ان تريح او تزيح الحمـل الجاثم فوق صدرها وضعت حمـلا أثقل منه فوق صـدرى ، وضعت العذاب والشقاء .

ـ أتريد أن تعرف ما بى يا أحمد .

اننى أمرأة تبيع جسدها من اجل لقمة العيش ولقد ذقت المرارة من اجـل الحصـول عليهـا . نشأت وحيدة فى أسرة فقيرة لا تحمل شيئا غير حطام الزمن المرير .

ـ ولماذا تسيرين فى هذا الطريق المليء بالأوحال .

ـ انهـا ارادة الله .

ـ لا . . يا الهام الله لا يريد لنا العذاب .

ولكنها الحقيقة يا أحمد ، اننى سوف أقول لك عنها ولك

بعد ذلك أن تقرر هل كان ذلك بيدى أم بيد القدر .
لقد حاولت أن أبحث عن عمل بعد أن مات أبى ولم يترك غيرى وأمى الضريرة التى لم تكن تملك من حولها أى شىء ، وحاولت أن أحصل على المعاش . وأخيرا بعد أربعة شهور من العذاب . بعد أن بعنا كل ما نملك ، صرف لنا مبلغ ثلاثة جنيهات ، فهل بالله عليك كانت هذه الجنيهات الثلاثة تكفى لا طعام شخصين ويدفع منها ايجار المسكن والملبس .

المهم يا أحمد مضت بنا الأيام ونحن فى أشد الحاجة الماسة الى نقود وفى ليلة من الليالى كانت والدتى تعانى من مرض عضال فهى مريضة بالتهاب رئوى ، لقد كان الداء يؤلمها . كانت تتألم فى أنين خافت فهى تعرف أننا لا نملك من المال ما يسمح بالذهاب بها الى المستشفى وأخذتها الى احدى المستشفيات الحكومية ، أتعرف ماذا قرر لها الطبيب ، قرر أنها سليمة ولكن وهى السيدة العجوز الضريرة كانت تصرخ صراخا يقطع نياط القلوب . تتألم بشدة .

وعدت بها الى المنزل وقررت أن أحضر لها طبيبا . ومن أين المال وطرقت الأبواب أبحث عن قلب رحيم يقف الى

جوارى فلم اسمع اجابة على ندائى . واجهشت بالبكاء وما أسرع الدموع في تلك اللحظات . هل اترك المسكينة تموت من الألم ؟ وقررت أن أعمل أى شىء ولو على حساب نفسى .

. . . وخرجت فى تلك الليلة مسرعة من منزلى والقيت بنفسى على احدى الأرائك الموضوعة على كورنيش النيل ولم أدرى ماذا أفعل يومها .

وماذا كنت تنتظر من فتاة لم تدخل فى معركة الحياة وكفاحها ؟ وبعد برهة من الوقت رأيت عربة تقف بجوارى واطلق السائق نفيره ونظرت خلفى فاذا به ينادينى ولم أتردد .

لم لا أذهب معه : ألست أريد المال ؟ اذا لابد من الحصول عليه من أى طريق .

وقمت وأنا ابتسم ابتسامة لا معنى لها ، وابتسم هو الآخر واسرع نحوى .

. . . كانت فى هذه اللحظة تمر فى رأسى الكلمات التى كنت أسمعها من أفواه السيدات من أن الفتاة التى تسير على البحر ستجد عربات كثيرة وعندما تركب مع أحدهم يعتدى عليها ويتركها بعد أن يصل الى بغيته .

لم اهتم بهـذا الـكلام ، فماذا سـوف يحـدث ، المهم هو الحصول على المـال ، لمـاذا لا أسـتعمل اغـراء جسـدى فى الحصول على ما أريد ٠

. . . لقد كانت هذه هى التجربة القاسية فى حياتى ، كانت هذه أول مرة أخرج فيها عن حدود تحفظى ٠

. . . كانت هذه أول مرة أبيع فيها جسدى لكى أجد ثمـن الدواء والطعام ، وقلت له وأنا ذاهبه اليه ٠

ـ كم تدفع ثمنا لى يا سيدى ؟

ونظر الى باستغراب وهو يضحك ملء شدقيه ٠

ـ لا تنظر الى هكذا فانا اريد المـال أولا ؟ وجسـدى تحت امرك ثانيا ٠

وشدنى من يدى وركبت معه وانا اطلب منه أن يسرع فى انهاء ما يريد وأعطيته قبلة لم أشعر لها بطعم وأسرع والقى بنفسه على وهو يقبلنى فى كل مكان من جسدى ، كنت يومها عذراء لم أبلغ العشرين من عمرى بعد ٠

وضـاع منى كل شىء فى هـذه الليلة واخـذت منـه مبلغ خمسة جنيهات وأعطانى فوق منها بطاقة بأسمه ونزلت مـن

العربة وانا أجر أذيال الخزى والعار ، وهو يقول لى ، معـك الكارت ورقم التليفون آطلبينى فى أى وقت وانا تحت امرك ، فأنت لذيذة جدا لم أصادف فى حياتى فتاة مثلك . لقد أصبحت امرأة وأمسـكت بالبطاقة ورايت عجبـا ، لقـد كنت أنام فى أحضان طبيب وفغرت فمى تعجبا لا ، مش ممـكن أن يفعـل ذلك طبيب الرحمة والانسانية ؟

الطبيب الذى يجفف دموع القلوب الجريحة ، ملاك الرحمة الذى يملك يدا كلها حنان . المهم يا أحمد لم أندم أليس هـو بشرا والبشر يخطئون .

وعدت مسرعة واخذت معى أقرب طبيب الى المنزل لـكى أرحم تلك المسكينة التى تقاسى الألم والعذاب وأنا فى الخارج أبيع جسدى ولكن أليس من أجلها ؟

يارب ارحمنى ان كنت ارتكبت ذنبا .

وعـدت والطبيب معى وفتحت باب الحجرة وأنا اقول .

ــ ماما لقد جاء الطبيب .

ولم أسمع لها صـوتا وكنت أحمـل معى بعض الطعــام وذهبت اليها فى السرير وانا اقلب النظر فيها ــ يا حسرتاه .

لم يارب ذلك . لقد ماتت المسكينة .

لم تنتظر حتى ترى أمل الحياة من جديد .

بدواء جاء عن طريق غير شريف ، طريق كله اشـــواك ، طريق محرم في شرائعنا . لا أعرف يارب ما هو نبي وذنبها .

وصرخت صرخة شـقت سـكون الليل وانهمرت الدمـوع تجرى من عيني كشعاع من النيران تلهب وجهي . حسرة على تلك المسكينة .

– ماذا فعلت بعد ذلك يا الهام ؟

وماذا تنتظر مني أن أفعل بعد ذلك في تلك الحياة .

من يومها وأنا اسـير في هذا الطريق ، لقد اصبحت امرأة لها ماضي ولم اجد عملا أرتزق منه غـير هـذا الطريق ، كنت ابحث عن الطعام اياما وليالى ، وابيـع جسـدى لـكل مـن هب ودب نظير قروش قليلة لا تسد رمق ولكنهـا الحيـاة ، وكم من مرات جلست فيها الى نفسى أتساءل .

لـماذا نضحك . ؟ لست أدرى . ؟

لـماذا لا نبـكى الآن ونصرخ ونقـول بئس تلك الحيـاة ، اننا أفشـل من أن نعيش فيهـا . لـماذا نتحدث كثيرا عـــن الحب والحنان ونحن نعيش في جحيم الحرمان .

يجب علينا أن نرثى قصص الحب وننسى أنه توجد هناك قلوبا تعرف الحب . ما هو الحب ؟ اننى لا أعرف ما هو .

اليس هو العناق مع لهيب الأجساد ! !

أننا نعيش وكل منا يبحث عن شيء ما . وفى النهاية نسقط آسفين على تلك الحياة نعيش ونحن نهرب من الواقع ، نحاول فى هروبنا أن ننتصر على الحرمان ، لكن ما أشبه حياتنا بحياة انسان يدور حول نفسه ، ومع ذلك كنت أكافح من أجل أن أعيش ، وبالأمس كنت على موعد للقاء شخص لم أعرفه من قبل فخرجت اليه وعندما وصلنا الى الشقة التى يقطن بها فوجئت بأربعة شبان كل منهم يحاول أن يفترس جسدى ورفضت بشدة وانهال على الضرب من كل مكان . وخرجت من عندهم وانا أجرى فى الشارع لا أدرى أين أذهب ولم أعرف ماذا حدث لى بعد ذلك لم أدرى الا وانا هنا فى حجرتك . لقد تكلمت معك يا أحمد فى حقائق كان يجب ألا يعرفها أحد ولكن لا . فأنت بشر مثلهم ولابد أنك ترى زملاءك وترى ما يفعلون .

لقد بعت شرفي من أجل لقمة أسد بها رمقى بعد أن

تعذبت في الحياة وافترستنى الذئاب . كل منهم يحـــاول أن ينـــال متعته فقط . كل ذلك لكى أعيش كما يعيش البشر .

. . . اننى اريد ان افـرح وأن أجـرى وأن أشـــعر بلذة الحياة ولكنى لم أجـد بها سـوى العذاب والشـــقاء . حياة مليئة بالذئاب . ولكن لـم يعد بيدى . . فمن دخَـــل هـــذا الطريق الذى أسير فيه لا يمكن أن يخرج منه بتلك السهولة التى يتصورها الانسان . لقد أصبحت حطـاما ـ أصبح كل ما فى ملك الجميع ، أسير لكى أرى النـــاس من حـولى تضحك وأنا وحدى أبكى . هذه هى حياتى يا أحمد . فتاة الليلَ التى باعت جسدها وحياتها من أجل أن تعيش فى مجتمع فاسـد لا أخلاق لديه ، وانهارت الدموع من عينيها وأنا أقول لهـــا لا تبكى يا الهام . فالبكاء لن يعود لنا بالماضى وماذا تفيـــد الدموع سوى انها تزيد الشقاء .

نعم ان الدموع تزيد من شقاء الانسان .

ـ لا يا احمـد الدموع تغسلَ قلبى . هى السلوى الوحيدة التى أهرب بها من دنيـا الواقع آلى دنيا الخيال . وفى هذه الأثناء حضر حسن فتركتـه وذهبت أنا اسـتعدآدا للخـروج والذهاب الى الكليـــة ، خرجت وأنا أعيش معهـا . كانت حكايتها متجسدة فى خيالى ، سرت فى الشارع ، وأنا لا أرى

الا خيالها تخيلتها وهى تقاوم ، وترقد فى أحضان الرجـال ، لقد ملكت فؤادى .

لم اكن اصـدق انه توجـد فئـات بشرية لا تعـرف معنى الرحمة .

فئات تعيش للطعام والشراب .. فئات تولد وتمـوت من اجل لذة ليلة واحدة .

وقررت فى نفسى اشياء كثيرة أرحم بها تلك المسـكينة ولم أهتد الى شىء في هذا اليوم .

❋ ❋ ❋

... أتعـرف يا عادل ماذا كان تاثير تلك المـرأة عـلى كيانى ؟

لقد احببتها ، حبا لا يتصوره عقل .

واصبحت احس حين أراها بالارتياح الـكلى والاطمئنان الشامل وأشـعر بالانقباض المؤلم ، ، والأسى الموحش يـوم تغيب عنى .

... لقد طرق الحب باب قلبى وخالجنى الشـوق اليهـا وأضحت لى هدفا أبغى الوصول اليـه ، ووضح شـعورى

وانجلى ما كان خفيا وأدركت ان هذا هو الحب . نعـم انه الحب يا عادل .

لقـد أضـحت روحى تحـن الى روحهـا المعـذبة ، الى ابتسامتها الطـاهرة الى عينيهـا الجميلتين الى حديثهـا الممتع .

نعم أصبحت هى نصـفى الجميل ولـم يعـد قلبى يخفق الا بجانبها ولم يعـد يطمئن الا لهـا وأصبحت لا أستسـلم للرقود ولا أريح جسدى المنهك من تعب الحياة وكد النهـار وانما كانت الأحلام تشدنى اليها . والله وحـده يا عادل يعلم صدق حبى وعاطفتى .

نعم ـ الله وحـده هو الشـهيد على ذلك . مـن يومهـا يا عادل لم أنم . بل عشت في حلم من الأحلام .

لقد كانت ظلا مر من عينى الى رأسى كطيف ، وأصـبحت روحا لجسـدى ، لـم يكن حبهـا طيفا ولكنـه حب جعـلنى أهذى كمـا يهـذى السـكارى . لقـد أحببتها وليس الحب عارا .

وغنت عيناى لحظات رأيت فيها ، روحها قـد جاءت وهى تقترب منى بابتسامة مليئة بالحنان ، وكأنها تقـول تعـال

يا من تريد الحب تجرع تلك الكأس ، من ذلك الجسد الذى يزيد الحياة بهجة وسرورا واقتربت وهى لا تتكلم ولكنها وضعت يديها فوق كتفى وبسرعة مالت برأسها وانا انظر اليها فى تعجب ، لم أكن أصدق ذلك وان رأيت بعينى . وها هى الآن أمامى بين يدى تريد منى أن أرتمى فى أحضانها الرذيلة المشئومة ، ومالت برأسها وتلاحقت انفاسها مع انفاسى وانا لا أفكر ولا أقدر على الوقوف نملت اليها وقبلتها فى كل جزء فى جسدها وخرجنا بعيدا حتى ارتمينا على أحد المقاعد وهى فى أشد حالات التوحش .

تحاول ان تفترس ذلك الجسد الذى أمامها . وتحاول أن تثير فيه المشاعر حتى هدأت انفاسى وانا أصرخ فيها . لا . لا أذهبى واياك أن تدخلى منزلى يا من دنست فراشى الطاهر بفعلتك الشنيعة وقمت من نومى مفزعا ونظرت حولى فلم اجد أحدا بجوارى نعم يا عادل ، قد أحببت تلك المرأة المسكينة .

لقد وجدت أخيرا الحب بجوارى .

كانت جميلة ، جسدها المتناسق هو الشباب .

يا للمسكينة ! لقد تأثر قلبى لها .

لقد كانت أول مرة فى حياتى ألمس فيها يد شـابة بقـلب أثقلته المشـاعر المكبوته ، ولم يكن صـدرها الناهر بعيـدا عنى .

كانت ملك يدى .

. . . وكنت قد طلبت منهـا وهى تنصرف مـن عنـدى أن تعود الى مرة أخرى وكثر ترددها على مسكنى ، حتى أصبح عادة ، وكنا نجلس سويا نتجاذب أطراف الحديث فى شتى الأمور ساعات تطول لا ندرى بهـا ، وأحسست بأننى بدأت أتخفف من هموم حيـاتى وجراح فؤادى أخذت لحظات الحياة تحلو لى والسعادة تشع فى كل مكان أجلس فيه ، وتحـولت حياتى الى آمال أجرى وراء تحقيقها .

يالعينا الهام . عندما كانت تنظر الى بهما . أليست نظرة المرأة كفيلة بأن تودى بعقل أشجع الشجعان من الرجال ، ومع أننى لم أكن أعرف هذا الا من تجارب مـن أختلط بهم . فقد كان بوسعى أن أدرك معناه ، انه الحب . ولـكن قـلبى الجائع أصبح هائما فى دنيا الحب والشجن . وانننى لا أعـرف كيف ملكت تلك الساذجة اللعوب فـؤادى . ذلك هـو الذى لا أعرفه ولكم أن تسألوا عنه عسى أن تجـدوا جوابا شـافيا

لذلك الحب الذى طرق باب قلبى همسا ، فأضحى صراخا .
ولم لا أحبها ؟

أنها حسناء وعلى جانب كبير من الفتنة والبساطة ،
لقد تأملتها طويلا . الأمر الذى جعل جمالها يقتلنى ، انه من
النوع البسيط الذى يشع من حوله شعاعا يرى به .

كان لها خصلات من الشعر الطويل تعقدها كيفما تشاء
تزيد بها الجمال فى عنقها ويشع السحر من وجهها
بابتسامتها التى تعلو شفتيها تطلب منا أن نلقاها والرجل
منا لا يمكن أن يحب المرأة للوهلة الأولى ، من أجل ذكائها
ولكنه يستطيع أن يعشق جسدها من أول نظرة وبعد ذلك
يفكر فى ذكائها وعقلها اذا وجد انهما يستحقان التفكير
والاعتبار ـ هذه هى الحقيقة المرة .

وكنت هى تملك كل هذه الصفات ، كنا نلتقى وبعد
اللقاء تترك ذكاءها يمتلك حواسى . ولم أحاول أن انظر
الى جسدها بل عشقتها بكل ما فيها من محاسن وأخلاق .
فتاة ساقطة فى نظر القانون والمجتمع . لا أنيس لها سوى
حبى . لقد أحببتها بشىء من الخجل . وتبدل الحال وصرت
احبها لكثرة التفكير فيها ثم أصبح حبها يغلى فى عروقى كما
تغلى الحمى فى دماء المريض أتعرف يا عادل ماذا فعلت بعد

ذلك ؟ لقد قررت أن امنعها من السير فى هذا الطريق الذى تسير فيه . فأنا أحبها ولكن كانت تقف فى وجهى بعض العقبات ، فمن أين المال ؟

هى تريد طعاما ومسكنا وكل مستلزمات الحياة .

فكرت كثيرا . وأخيرا قررت أن تقطن معنا أنا وحسن في حجرتين وبذلك نوفر قيمة ايجار حجرتها . وانتقلنا الى مسكن مناسب ، وعشنا أياما على هذه الحالة ، وكانت هى سعيدة بذلك لقد ارتاحت من دنيا الهم والشقاء . دنيا الآلام والعذاب .

كانت تقوم بخدمتنا وتوفر لنا اسباب الراحة وتنتظر الليل حتى نعود ولا تعرف النوم حتى تطمئن علينا ـ كانت حنونة ، أخت ، أم ، حبيبة . كانت تحمل بين طيات قلبها كل هذه الصفات . وعشنا في هذا المسكن المتواضع أجمل قصة حب ، حب نبع من قلوب صافية أضناها الحرمان والعذاب حب لا ينظر الى الشهوة الجسدية . بل حب روحانى ، لقد احببتها . وكان حسن على علم بكل ذلك ، ولكنه كان صامتا . يشجع حبنا فى صمت ، ويبنى معنا من الآمال ما نريد تحقيقه .

وهى كانت تحبنى ، وتحبنى بدون مواربة ولا رياء ، حبا صادقا لذلك لم تكن هناك فى ذلك الوقت عقبة تقف فى طريق زواجنا . بل انه كان مستحيلا ، أن تكون هناك مع الأيام المقبلة عقبة . فالسماء صافية . صفاء قلوبنا والآيام تمر بنا كأجمل ما تكون .

ويسير غرامنا الى الغاية القصوى التى نريدها وأعنى بها السعادة . كنت أفكر فى ذلك وأعد العدة للمستقبل الجميل ، لم يخطر ببالى انه من الحمق والسذاجة أن نفكر فى أشياء لم تقع بعد . ولكننى كنت فى مقتبل العمر ، لا أفهم شيئا من أمور الحياة فقد كانت بالنسبة لى كفاحا وتحقيقا للمطالب بالقوة ، بدون تفكير – نعم كان هذا هو تفكيرى فى الحياة . وعشنا كذلك شهورا طويلة من الضنك والحرمان فالمال غير متيسر وكنا نحرم أنفسنا وأعود أنا وحسن من الخارج فنجدها تبكى وهى وحيدة . وأحاول أن أعرف ما هو الدافع الى البكاء فلا أجد جوابا لسؤالى وأقول لها لا تبكى على ماضى لن يعود . انى لا ألومك على شىء . اننى أومن يا الهام بأنه لا توجد هناك أمرأة زلت بها القدم وارتمت في أحضان الشيطان الا وكان وراء زلتها رجل ظالم ، أو قدر غادر ، أو ظرف قاهر .

ان كل فتاة في هذه الدنيا تحلم بالحب والزواج والحياة السعيدة ولا يمكن أن تحلم بالزلل والعار والانتقال من احضان رجل الى آخر فاذا ما قدر لها أن تزل وتتعثر فى طريق الغواية فان الذنب لا يكون ذنبها أبدا .

ان فتاة حسناء فى مقتبل العمر تبيع جسدها من اجل لقمة تسد بها رمقها ، لا شك أنها تستحق منا الرحمة نحن قساة القلوب . الرحمة التى تبحث عنها مع رجال ذئاب فى ثياب البشر .

... اننى يا عادل كنت ألعن تلك النفوس ، فما أشد بؤسها . تصور يا عادل حياة فتاة تريد أن تحيا حياة كريمة فتجد نفسها تسير فى طريق لا رحمة فيه ولا شفقة ، فالكل يريد المتعة . وفجاة تجد انسانا يقف فى طريقها تشعر معه بالحب ويعطيها الحنان ، هذا الانسان هو أنا ياعادل. أنا الذى كنت أعيش وحيدا لا أجد صديقا بجوارى ولاقلبا حنونا يمد لى يده لكى ينتشلنى من بحر الحياة الذى اغرق فيه . وفجاة وجدتها امامى تقف بابتسامتها ، هى الحياة . هى الأمل . لقد فتحت أمامى أبوابا كانت مغلقة ، أبواب الأمل ، ابواب النجاح والسعادة . وكم من مرات اقتربت منى وهى تقول ، يا أحمد انك لا تعرفنى فأنا

فتاة تعسه خاطئة ، بعت نفسى لكل من هب ودب وأصبح جسدى كله عارا وفضيحة والكل يعرف من أنا . اننى يا سيدى لا اصلح لك . وكنت انظر اليها باستغراب وأنا أقول لها ، لقد احببتك يا الهام ، والله وحده يعلم ما فى قلبى من شوق ولوعة تحرق كيانى ، أنت فى نظرى أطهر من العذراء في الكنائس ، أنت لى نور السموات على الأرض ، أنت كل شيء في حياتى .

لست أنت المسئولة يا حياتى عما حدث ؛ ربما المجتمع هو المسئول الأول ، ربما القدر .

المهم يا الهام ان الله لم يتركك واعطاك ذرة من رحمته أخيرا . ورفعت عينيها الى وجهى ، ورأيت الدموع تجرى على خديها والقت بنفسها بين ساعدى وضممتها الى صدرى فى حنان وحب وعواطف مكبوتة .

ـ أحمد اننى لا أعرف ماذا أقول لك ، لم أكن اعتقد ان ان هناك انسانا سوف يرضى أن يربط حياته بى فأنا أمرأة غير شريفة لم تر السعادة فى حياتها الا لحظات بسيطة بل دقائق ولت فى لمح البصر .

... تفجرت الدموع من عينى ساعتها يا عادل ولا أدرى كم من الوقت قضينا فى تلك اللحظات .

ـ اسمعى يا الهام ان الكثيرين منا نحن الرجال يغرمون بنساء فاضلات ولكن لا ، فهناك نساء شريرات أو ساقطات فى نظرنا لكن لهن قلوب أفضل بكثير من قلوب تلك الفاضلات ولذلك يجدن من يرغب فى صحبتهن ويهتم بهن .

وأخذتها بين يدى فى قبلة لن ننساها . وتركتها وذهبت الى حجرتى للنوم ، وفجأة حضر حسن ومعه بعض المأكولات الخفيفة وتناولنا منها ونحن نضحك في سرور . وقام كل منا الى فراشه للنوم ، وكانت الساعة قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل . .

* * *

ومضت بنا الأيام ونحن نرتشف من رحيق السعادة ... وعدت ذات يوم وانا مسرور ، لقد نجحت في الكلية وحصلت على المؤهل وتحققت آمالى ، عدت اليها مسرعا اريد أن ازف اليها هذه البشرى ، اريد ان اشعر بالسعادة معها . أريد أن أحدثها عن آمالى وطموحى .

ولك ان تتصور يا عادل مدى السعادة التى يشعر بها الانسان الناجح بعد كفاح مرير وحرب دائرة مع الحياة التى يريد أن ينتزع منها لقمة يسد بها رمقه .

آه . اننى لا يمكن أن أصف لك كيف كانت ضربات قلبى تركض وأنا أسير شاردا أبحث عن معبودتى .

وفتحت باب الغرفة . ورأيتها أمامى ترقد فوق احدى الكراسى فى اغفاءة وشعرها ينسدل ويتماوج فوق كتفيها العاجيين يا لله ، كم كانت جميلة ؟

لم انتبه لهذا الجمال قبلا ، رددت هذا السؤال بينى وبين نفسى مرات قبل أن اقدم عليها وانا أصيح فيها ، الهام ، الهام ، أترقدين وأنا فى قمة السعادة ، لقد جئت اليك مسرعا لم أطق صبرا على عدم حضورى ، لقد نجحت يا الهام ، ابدلى ثوبك ، هيا بنا للخروج سوف نقضى الليلة فى الخارج ، لكى تفرحى معى بتحقيق آمالى ، لكى نعيش سويا فى أجمل حلم يحلم به بشر . لكى نشرب سويا كأسا من الخمر ، ليست خمرا تسكرنا ولكنها كأس من السعادة نعيش على ذكراها مدى الحياة .

ونظرت الى بابتسامتها الهادئة التى تزيد الحب اشتعالا فى قلبى الذى كان يتساءل وأنا معه أناجيه فى هذا التساؤل.

يارب ، أننا غرباء فى نظر الناس ، في شرائع المجتمع ، لكننى اعرفها وارتبط بها ، انها حبيبتى ، يأتى المساء على طيفها ، وتشرق الشمس على ذكراها ، الى متى .. الى متى

يا الهى ، سنظل حبيبين نعيش في غربة ، الى متى سيدوم ، هذا البعد فى دنيا الخيال الى متى يا الهى ؟

وكانت قد انتهت من ارتداء الملابس ، وخرجنا نتجــول لا نعرف ماذا نقول حتى ذهبنا الى اقرب كازينو وجلســنا هناك نتحدث والوقت يمر بنا لا ندرى به .

وأمسكت يديهـا بين يدى .. ابتسمى يا الهـام ، فأنت حياتى أملى . ســوف اتزوجك يا الهام .. ونعيش كأجمـل عروسين فى الدنا .. لن تسعنا الحياة يومهـا .. ســتملأ السعادة أيامنا .

لا تتعجبى يا الهام ... اننى أنتظر هـذا اليـوم بفـارغ الصبر . اريد ان اشعر معك بالسعادة التى طالما بحثت عنها ولم أجدها الا بجوارك انت يا حياتى . سنعيش فى دنيـــا الأحـلام . وسوف نترك هذه الدنيا المريرة . لن نلتفت الى الماضى مرة أخرى .

وبكيت يومها يا الهام .. كانت الدموع فى عينيك كأنهـــا الدماء تمزق قلبى المسكين .. ودعونا الله يومهـا أن يمهــد لنا بالورود والســعادة التى كنت ابحث عنهـا بين يديك .

جففى دمعك يا الهام .. واضــحكى ، فالبكاء لا يجـــدى

أننى سوف أحطم القيود التى تربطنا بهذا المجتمع ..
سوف أتزوجك رغم انف الجميع ، وسنبنى بيتا جديداً ، ترفرف عليه الآمال . اننى أعرف أن ابى واهلى وخصوصا أمى لن توافق على هذا الزواج ولكن لا ، لن اجعل انسانا يقف فى طريق سعادتنا ، فأنت انسانة يجب أن تعيشين ، لقد انحرفت وما ذنبك ، اليست هى الحياة القاسية التى دفعت بك الى هنا ، الى هذا الطريق ، طريق الهاوية ، فلماذا لا أمد لك يدى ، لكى أفتح لكى حياة جديدة . كلنا يخطىء وينحرف فلماذا تعيشين أنت منبوذة .

.. يا حياتى أننى أعرف ان الجميع سوف يتهامسون من حولنا ـ يتكلمون كلاما لا ندرى له مصدرا . كلمات يفهمون هم ماذا تعنى اليسوا هم فى الاوحال يعشون ..

لابد أن نحيا يا الهام ، ما أراد الله لك ، ولكن قبل ذلك سوف نحطم كل آثار الماضى ، بقوة حبنا .

وقبلت يديها يا عادل يومها وانا أبكى ، لقد ذرفت دموعا هى دموع السعادة ، دموع الحب ، دموع الشقاء الذى عشت فيه . نعم اننى لست قاسيا .. حتى القى بك ، ولكن سوف أغفر لك الماضى ويجب أن نعيش كما أريد حياة جديدة .

* * *

. . . وعشنا كذلك أياما لا ندرى كم هى ، أياما قاسية شربنا فيها كاس العذاب والمرارة .. لقد وجدت الحنان مع الهام . كانت تعيش معى في نفسى وفى ظروفي ، وتمر فى نفس المراحل التى أمر بها ، وبدأت أشعر مع مرور الأيام انها فعلا كل عالمى وتعبى وموضع شكواى ، لقد احببتها ، أحببت فيها الشعر الأسمر ، والجسد الرشيق ، والابتسامة الحزينة ، والنظرات التى حطمتها الأيام .

وبادلتنى الهام نفس لحب ، ولم نكن نفترق الا فى آخر الليل عندما يحين موعد النوم ، وفى ليلة عاصفة ،كنا نجلس سويا نتجاذب اطراف الحديث ، رأيت خلجات الجفون وهى تصرخ تريد أن تتذوق تلك الشفاة التى تجلس أمامى ، وخارت قواى وبدأنا نتكلم فى همس رقيق وامتدت يدى تلمس يديها وشعرت بالحرارة والدماء الساخنة تتصاعد فى جسدى وأنا لا استقر على وضع . . . ومددت يدى اليها وأنا اشدها الى صدرى ولم أجد تمنعا منها وهمست فى أذنها .

ـ احبك يا الهام .

ولم أكد أكمل عبارتى حتى اندفعت وأنا اضمها بين يدى الى صدرى ، وتلاقت الأنفاس وأنا أقبلها في صدرها وخدها وفمها ونحرها ، وفى كل مكان في جسدها ، وشددتها من يديها

وهناك في فراشها الذى ترقد عليــه كنت أضـمها فى عنــاق كعروسين يدغدغهمـا الحنين الى لحظـات السعادة والتقينا فى عنـاق أخذتهـا بين احضـانى فى قبلة لن انســـاها .. وارتميت فوقها وأنا أقبل كل جزء مـن جسـدها .. وحـدث يا عادل ما كنت أخاف منه ، لقـد ارتكبنا ذنبـا لن يغتفر ، رقـدت معهــا وتذوقت لأول مـرة فى حيـاتى طعـم الحب المشبوب بشهوة الجسد .

ان الله لم يخلق مشهدا اجمل من عاشقين على فراش واحد متعانقين عليهما حلل الرضا ومتوسدين بمعصـم وســاعد واحــد .

ولكن هذا اللقاء وتلك السعادة ما لبثت أن اصطدمت بعامل مفاجىء لم يكن فى حسبانى ، ومع ذلك فلم اعتبر هذا العامل المفاجىء كارثة . لقد ندمت على ما فعلت ولكن هل يفيد الندم في مجتمع الشرائع والقيود ؟ وأسرعت اضمها الى صــدرى وانا أقول لها ، نامى ياحبيبتى . وثقى بأننى سعيد بك . بل أسعد انسان في الوجود .

* * *

... اننى لا أعرف اذا كان الله قد حـكم على العـذاب فى ذلك السجن المسمى بالحياة . أم انه سيسعدنى بتســعادة

لا أدرى بها . لم يدم هذا الحب كثيرا ياعادل ، لقـــد وضـــع الله فى طريقى من فرق بينى وبينهـــا . ولكنـــه لـــم يـــكن هو المذنب . لقد عرفت هـــذا أخيرا . نـــعـم كانت هى المذنبـــة . اليســـت هى التى ســـمحت له بأن يبادلهـــا الحب مـــن وراء ظهرى .

واذا كان هو المذنب فهى صاحبـــة الجـــرم الأكبر . لقـــد عرفت أخيرا أن المرأة لا يمكن أن تتعلم الفضيلة فالفضـــيلة نطرة فينـــا منـــذ الصـــغر أما المرأة فهى تجـــرى وراء السراب والزينة ولا تجد عندها مكانا للحشمة والوقار . وهل نطلب الحشمة من حيـــة رقطاء تسعى وهى تنفث سمومها . وأية فضيلة تنتظر من حبيبة تخدع محبوبها وهى تعيش معه ويعيش من أجلها .

نعم يا عادل هى المرأة التى تقلق راحة من يعيش معهـــا وتجعله يعيش شادراً وتضـــحك منـــه اذا حاول أن يحافظ على راحتهـــا وتخونه حتى فى ســـاعتها الأخـــيرة . اذ تترك له طفلا وهو فى الحقيقة ليس من صـــلبه . ومـــع ذلك ليس من حقـــه أن يرتاب واذا كان متيقظـــا على الدوام اتهم بالغش والخداع واذا تراخى واهمل فى مراقبته أصـــبح شرفه ككرة تنتقل من يد الى اخرى .

فالمرأة لا تعرف ما هو الشرف فهى تضحى بشرفها وفضيلتها في سبيل ارضاء حبيبها أو عاشقها . أن المرأة مثل الحطب بجوار النار والرجل منا نار محترقة اذا وضعناها بجوارها ماذا يحدث . سيحدث عجبا - انها تضحى بكل عزيز فى سبيل ايجاد من يعطيها اللذة التى لا تدوم ...

نعم . انها تضحى بزوجها وأولادها ومالها في سبيل هذه الغاية ، لقد علمتنى تلك المرأة يا عادل أنه ليس من الممكن أن تأخذ لك صديقة من النساء تستطيع الاعتماد عليها . تلك القلوب التى تفرح لبؤسنا وتقف أحجارا عثرة في سبيل خيرنا فأين الوجه المشرق بنور الحب الذى طالما ابتسم لنا ولحبنا فى أوائل عهده . أين تلك التى سكبت الدموع دماء على حبنا . أن أجمل منظر فى العالم يؤثر فى النفس البشرية هو منظر أمرأة جميلة تتألم . اننى أريد أن أعرف لماذا تسلم المرأة نفسها لأول رجل أو عاشق يصادفها مع علمها بأنه قد حطم قلوبا قبلها . وعبث بكنوز غيرها . ؟

أهو يكسب رضاءها ويفتن قلبها ويقودها الى العار ويهجرها ، ألا تعرف ذلك ، ربما من أجل لذة ليلة واحدة تجلب العار على نفسها طول العمر . ولكن ربما هى ترغب

فى ذلك وتتمنى من كل قلبها أن يعبث بها انسان . اى انسان . لكى تكيد زوجها أو تبحث عن لذتها .

ولكن القانون لا يقبض الا على السارق أو القاتل ولكن من خدعك سوف يضيع العمر وهو يضحك عليك بسخرية لا مثيل لها . اننى اتعجب من هؤلاء الذين يذلون ذاتهم ويجعلونها عرضة للاحتقار نظير التمتع بلذة وقتية واية فضيلة تنتظرها من رجل يأخذ على عاتقة أن يعبث بعواطف أمرأة صدقته فأستسلمت له ويتركها بعد ان شاطرها الملذات التى تركت أثرها فى أحشائها حسرة والما . آه . يا عادل لو عرفت المرأة انها سلاح ذو حدين . فهى تعطيك الحياة وتأخذ منك الراحة . لقد جاءت المرأة وراء آدم ومازالت وراءه الى الآن ولكنها بهذا تجعله ينظر الى الذات وهو فى شك وحسرة . فكيف يعيش رجل لم يعد يثق بامرأة ؟ وكيف تعيش أمرأة تبحث عن اللذة ؟ ففيها كل صفات الشيطان الراقد فى وكره ينتظر لمسة يد لكى يثور ويخرج بشكله المخيف . المرأة شيطان تحيل السعادة الى شقاء والدنيا الى خراب وتجعل كل شيء من حولها عذاب لا يطاق ومع ذلك فهى تبكى بدموع التماسيح . وتجيد تضميد الجروح ودموعها تجعل أكثر القلوب قسوة تلين لها . نعم هى المرأة تبتسم لك حتى تقترب منها فتقتلك بسحرها

وتضنيك بقسوتها . فهى وديعة وداعة الحمل ولكنها كالنمر
في توحشها ، متقلبة في حياتهــا . لا تأخـذ لهــا صـديقا ولا
صاحبا ، ليس لها من الدنيا الا سـاعة اللذة مع عاشقها .
وبعد ذلك تنسى من كان معها منذ برهة . انها جحيم لا يطاق
تصنع بنـــا المعجزات وترينـــا العجب يوما بعـد يوما . تلك
المخلوقة أليست من طين مثلنـــا . أم انهـا خلقت مـن شرار
جهنم ؟ . فهى لا تريد غير الحب والسعادة فى حياتها وتحيـل
الدنيا الى حروب طاحنة لا يقدر عليها أشجع الرجال فكيف
يواجه الطب النار .

***

... الى اى حد يستطيع الانسان أن يتساهل بكرامتـه
فى سبيل شريعة التسامح . والى اى حد يقوى على التضحية
بشخصيته وكبريائه وعزة نفسه انسياقا مع المبدأ القائل :
الكريم من عذر . لقد عدت يوما الى المنزل فى سـكون الليل .
ولم أطرق الباب كعادتى . كأنما أراد القدر ذلك حتى يعذبنى
على اثمى وعارى وفتحت الباب . ولم أدرى بنفسى بعـدها .
لقد وجدت نفسى أصرخ كالمجنون لا أعرف ماذا أفعل . كنت
أطلب من الله يومها أن أصاب أتعـرف ماذا رأيت يا عادل .
لقد رأيت ما هو أشـد من المذآب رأيت من ضحيت بحيــاتى

وعذبت نفسي مـن أجلهـا وعشت في حـرمان لأطعامهـا ..
متجردة مـن ثيابها لا يغطى جسـدها سـوى روب كنت قـد
اشتريته هدية لها . رأيتها في هذا الوضع المشـين ترقد في
أحضان أعز صديق لي . ترقد في أحضان الشيخ حسن وأقول
الآن الشيخ حسن . هذا الرجل الذى يعرف الله أكثر من أى
انسان آخر يرقد في أحضـان مـن أحبها . يا الهى . لم ذلك
وصرخت فيه بعد أن قامت وهى تجـرى تحـاول أن تسـتر
جسدها أانت يا حسن تفعل ذلك . لا ، ليس معقولا . رحمتك
يارب . وكانت تقف وتعلو وجهها صفرة الذعر والخـوف .
كلبـة حقيرة . كنت أحسـبها سـوف ترجعين الى طـريق
الشرف ولكن لا . فالمجـرم مجـرم حتى ولو وضع في السجن
مدى الحياة . فمن أعتاد على انحطاط صعب عليه الأرتفـاع
عـن الحضيض الذى اعتـاده ورأيتهما يطـرقان وجهيهما في
الأرض وهو يقول .

ـ يا احمد ـ وصرخت فيه . أرجوك لا تنطق اسمى بعـد
الآن فأنت نذل حقير . كنت أحسبك أخا لى . ولكن لا . ليس
الذنب ذنبك بل هو ذنب تلك المجرمة الآثمة . التى سـمحت
لك بأن تدس ذلك الفراش الطاهر وارتميت على أقرب مقعـد
أمامى منهارا لا ادرى ماذا أفعل . خيل الى أن جسمي يتقلص
وينتفض . وتقدمت منى وهى تقول بصوت يغص بالدموع .

استمع الى يا أحمد . أريد أن أحدثك بكل شيء . اننى لا أحبك . نظرت اليها محلقا فى وجهها ، وبصرى زائغ بينهما وحسن واقف كالصنم . لا حراك فيه . وعادت تقول .

آه يا أحمد . أيها المسكين . اننى لن أحدثك بشيء غير هذا . فاصفح عنى . أصفح لقد أسأت اليك كثيرا وخدعتك وانا اعرف ذلك لكننى أتوسل اليك الا تقسو على . اننى قسوت عليك وأعرف اننى حطمت حياتك . غير أن قسوتك رهيبة . ان نظراتك تقتلنى . فلن يجدر بى أن أبوح لك بكل شيء منذ مدة طويلة ولكننى كنت جبانة أخاف منك ومازلت خائفة والآن عليك أن تعرف كل شيء اننى لم أعد أحبك ـ ولم أحبك قط . كما يجب أن يكون الحب .

وما معنى هذا ؟

حملقت فى وجهها فى ذهول . وخيل الى كان الدم قد جمد فى عروقى . لم أقو على تجميع أفكارى وضاعت الكلمات ولم أعد أرى شيئا ورأيتها وهى تبتعد عنى قليلا . وتضع يديها على حسن . . نهضت ببطء مستندا باحدى يدى وانا أقول بصوت مرتجف .

هذا ما لم أكن أتوقعه يا الهام . أصحيح انك لم تحبيننى .

لقد كان يخيل الى حتى هذه اللحظة انك كنت تبادليننى الحب تلك الشهور الماضية التى عشتها أحسب الأيام

والساعات فى انتظار يوم الزواج والآن ها هو الحلم الذى
عشته شهور طويلة تجسد أمامى ولكنه لم يتحقق .
فوثبت من مكانها وهى تمد يديها قائلة .

ـ تلك هى خطيئتى التى تحز فى نفسى ويؤنبنى عليها
ضميرى . كنت اتصور انى احبك . ولكننى كنت لا أرى .
ممكن أن تقول عمياء . ولم اجد الوقت المناسب الذى أحدثك
فيه بكل شىء والقت بنفسها تحت قدمى قائلة : احمد اننى
أعرف أن قلبك كبير ولذلك أتضرع اليك وأتوسل كما أتوسل
الى ربى ان تغفر لى خيانتى . اننى أحب شخصا أصبح
عندى الآن أعز من الدنيا وما فيها ، أعز على حتى من كلمة
الشرف . اتعرف معنى هذا يا احمد . لك أن تتصور بعد
ذلك ما هو مقدار حبه فى قلبى . ونظرت أليها قائلا : اننى لن
اتكلم معكما الآن . اننى لن أعذبكما . سوف أترك هذا
للقدر . هو وحده الذى ينتقم لى . لقد حطمت قلبى أيتها
الفاجرة والآن تتوسلين . بدموع كاذبة . هيا اخرجى الى
الشارع كما كنت . كان فى امكانى أن اقتلك ايتها المرأة النحيلة
الساقطة التى تتلوى كالأفعى قبل أن تنفث سمومها . والتفت
الى حسن . وأنت أيها الشيخ المضلل الذى لا تعرف للشرف
قيمة . لقد ظهرت الآن على حقيقتك . انسان نذل لا أمل
فيك . هيا أخرج معها من هذا المنزل ولا تعودا بعد اليوم .

ما احقرك الآن ايتها المرأة فى نظرى . كنت احسبك أمرأة طاهرة لكنك وضعت فى نفسى حسرة وألما عليك أيتها الفاجرة .. عودى كما كنت الى الطريق المظلم مره أخرى .
أما أنت أيها النذل الجبان فاننى سوف انتقم منك . لن اتركك بعد أن لوثت فراشى وحطمت قلبى ايها المجرم السافل .
وجريت الى الباب وأنا أشده بقوة واصرخ فيهما . هيا ماذا تنتظران ؟ لا أريد أرى أحدا منكما ، بره ايتها الكلاب الجائعة .

وخرج الجميع من عندى دون أن أعرف أين سوف يقضيان الليل وكنت أصب عليهم جام غضبى . وأصبحت بلوثة من الهواجس التى حطمت قلبى . وانهمرت الدموع من عينى حسرة على تلك الصداقات التى انهارت فى لحظات .
أين نحن من الصداقة التى تربطنا برباط من الدم ؟ هذا الصديق الخائن كان يعرف اننى أحبها ومع ذلك انحرف معها الى طريق الهاوية ورقد فى أحضانها . ولكن هى المرأة التى احالت حياتى الى جحيم لا يطاق . هى التى جعلتنى ألعن كل انسان فى هذه الحياة . نعم انها المرأة وراء كل تفكير شرير . وقررت فى نفسى الانتقام ، لا . لن أتركهما بعد اليوم يتمتعان بالحب والشهوة على حساب قلبى الجريح ، سوف أبحث عنهما فى كل مكان ، وعشت من يومها في عذاب وآلام .

ومضت الأيام وأصبحت وحيدا . نلت شهادة التخرج وعينت باحدى الشركات وكان الحقد مازال يحز في نفسي على تلك التى حطمت قلبى ، كنت أسير كالتائه لا أعرف مصيرا ولا مستقرا . كنت أخرج فى الليل من منزل ولا أعود للنوم الا مع شروق الشمس . وأسمع من حولى من يقول انه متعاظم كبير النفس وما كنت يومها كذلك ، وكم من مرات أتهمت فيها بالجنون . يا الهى ، لابد من الانتقام اننى أخطأت فى تركهما ، كان يجب الانتقام منهما . ولكن لا ، لن اتركهما بعد الآن . ومضى على تلك الفاجعة المؤلمة شهران ، لم أعرف فيهما طعما للنوم ولا للطعام أو الشراب . لم يغمض لى فيهما جفن للنوم لليلة ، كنت ابحث عنهما فى كل مكان . أريد الانتقام أريد قتلهما . أريد أن اثأر لكرامتى التى تمرغت فى الأوحال وضاعت فى أيام لا توجد بها أخلاق ولا ضمائر ، ضاعت كما تضيع منا الحياة ، في لحظة لا ندرى بها . لقد طرقت كل الأبواب للبحث عنهما .

* * *

... حسن ! ! يا الهى ، يا الهى . وانفرجت شفتاى عن ضحكه شريرة ، لا يمكن أن تفلت من فم انسان ، لقد أصبحت متوحشا ـ حسن ذلك الشيخ الطاهر والملاك ،

الرجل ذو الوجه الملائكى ، الذى كنت أقدمه على نفسى وأحبه . ومع ذلك يرقد فى أحضان من أحبها ، ويسقط بها الى العار مرة أخرى ! ! ياالله . ما أعجب ذلك القدر . وأحسست كأن يدا قوية تطلب منى الوثوب للخارج للبحث عنه اينما كان والأمساك بعنقه . نعم فهو يستحق ذلك ، لابد أن يقدم حياته كفارة عما اقترف من اثم ، وعار في حقى ، يجب أن يموت لأظهر العالم من اثمة . أنأ من أكون ؟ . لست الا رجلا ، أصيب فى أعز شىء ، تحطم قلبه ، وضاع شرفه ، وعرضه ، لقد أحببتك يا الهام ، والله وحده يعلم كم أحببتك . ! ! وأسفاه ، أنك لا تتصورين مقدار حزنى . سوف تتحول عنك الوجوه الضاحكة التى كانت تبتسم لك ، متى علم الناس بأثمك وعارك . يا حياتى . ان الحب الذى يبدأ بالعار لابد وأن ينتهى بالهلاك . ياليتك تموتين . أيتها التعسة ، فذلك خير لك من حياة كلها اثم وعار . فى تلك اللحظة يا عادل تجلت لى الحقيقة الهائلة المرة أدركت ساعتها أن حياتى قد انتهت ولم يبق لها وجود ، كان يجب على أن أجر نفسى جرا واتبع الجموع المتحركة من البشر . وانا لا ادرى شيئا ما ، لا أعرف سوى النوم والأكل والشراب وكفى . تلك الأعمال التى نفعلها حتى نهرب من الموت ونعيش مزيدا من

الحياة ، ونحفظ أنفسنا من الهلاك . حاولت مرارا أن أتفاهم
مع نفسى ، وجلست أفكر فى الأيام التى قضيتها مع الهـام ،
استعرض سـعادتى وآمالى التى تحطمت فترقرقت الدموع
فى عينى ثم تفجرت منهما . هل أنت يا حياتى التى كنت معى
منذ لحظة بين ذراعى أحتضنك والآن تذهبين بعيدا عنى .
اننى أسائل نفسى عما اذا كان ذلك حلما عشت فيـه أم انه
منظر سماوى أرسله الله لى ثم أخذه منى . أواه يا حياتى .
ولـكن ما أشـد الآلـم ، لقـد سمح الله لنـا بهـذا الحب
وضاعف فى صـدرى الوجـد والهيام والآن يتركنى للعـذاب
والحيرة والشـك . لم يا الهى ماذا فعلت حـتى تنتقم مـنى
هـذا الانتقام المريع . لقـد أصبحت أعيش فى مرارة لا أدرى
أين أذهب أو ماذا أفعل ؟ اصبحت الأيام السوداء تحيط بى
والدنيا قد أظلمت في وجهى . أريد ان اشعر بالسـعادة لحظة
واحدة . ولكن لا ، فأننى لن أجدها بين تلك الذئاب البشرية
فانه من السهل أن تجد السعادة ولكن ليس من الممكن التمتع
بهـا ، هذه هى سنة الحياة . يا الهى لم يبق شىء مـن الدنيا
بأيدينا الا بقية من دمع فى مآقينا . ضغطت بيدى احـدى
عينى وجففت الدموع التى تجمعت فيها ، من فرط الحـزن
والألم الذى يعتمل في صدرى . جلست أفكر من جديد وأتدبر
الأمر فى هدوء وروية ، فكرت ، وفكرت وعشت فى صراع مع

الخير والشر . بين الجانب المضىء من النفس البشرية والجانب المظلم منها . لابد ان ضميرك يؤنبك يا حسن . وانك تعيش الآن نهبا للألم ووخز الضمير على ذلك القلب الذى حطمته بفعلتك الشنيعة .

***

آه ، ان الحزن والهم شباك يلقى بها الينا الخالق ، تقذف علينا من جوف السماء ، فلا نفطن لها . وتعيش فى نفوسنا كامنة . لا نشعر الا ونحن نشتبك معها فى نضال مرير . كما يقاتل السمك الذى يقع فى شباك الصيد ، فهو مخلوق ضعيف ضئيل ولذلك نلهو ونعبث به فهناك من هو اكبر سيطرة وأكبر قوة منا . لقد سقطت فى هاوية من العذاب ولكن كان فى هذه الهاوية المظلمة التى تتعذب فيها ثقوبا يستطيع أن ينفذ منها من يملك المال وسمعت صراخ ضميرى يقول : لا، هناك احزان لا تزيلها ثروة قارون ، وأن الفقر والفاقة هما أقل هموم العالم الخبيث الذى تعيش فيه . ان الفقر هم يمكن احتماله ومن الممكن أن يروض المرء نفسه عليه ونتعلم كيف نعيش معه كأصدقاء ، فهو يتعلق بنا كالرداء العتيق الذى لا مفر منه ، مجبرين فى وضعه على اجسادنا . لقد سمعت كثيرا ، أن جراح القلب الذى يخفق

بين جوانحنا والآلام النفسية التى لا تهدأ وعذاب الضـمير ،
كل هذه الهموم لها علاج واحـد هو المال . ولـكن متى كانت
السـعادة بالمال . ولكنهـا بالقـلوب التى لا تعـرف حقـدا
ولا كبرياء ، هى قلوب الفقراء . ومرت بى لحظات من السكون
البطىء ، تراءت لى فيها جميع الأحداث التى مـرت بى ، في
حياتى الماضية من عذاب وشقاء . وسمعت صوتا يصل الى
سمعى . صوت شجى . يترنم بغناء شجى ، وأصـغيت له
والدموع تنهمر من عينى . ما أصعب هذه اللحظة هذه التى
رسمتها فى ذهنى العليل فى ليالى العـذاب الطـويلة ، كانت
خطة شيطانية ولكنها العدل بعينه ، الم يحطم قلبى ، الـم
يحـول حيـاتى الى جحيم لا يطـاق ، اذا فلابد مـن أن
ياخذ جزاءه .

* * *

لقد انقضى من الزمن اسبوعان وهما على ما اظن ليسـا
مدة طويلة ، ولكنهما الجحيم بعينـه ، لقـد مرضـت ولزمت
الفراش وأصبحت لا أعـلق على اى شىء فى حيـاتى ، مـن
حولى ، ومرت الأيام مسرعـة وانا فى حجـرتى . لا أغادرها
الأ لكى ابحث عنهما فى الأزقة والشـوارع الضـيقة ، فهـذه
هى الأماكن التى كان يمكننى ان أجدهما فيها . ولو سـألت

نفسى لماذا ابحث عنها لما وجدت جوابا . ولكن رغم
ذلك ، كنت ابحث عنها وكم من مرة رأيت فيهما غادة
حسناء تحاول أن تتوارى عن الأعين فيخفق قلبى لها ،
كنت أظنها الهام . وعشت كذلك ، مخلوقا نبذته الطبيعة
ولفظته الكائنات . لقد علمنى الحزن والأسى ارتكاب
المحرمات بجميع انواعها ، لم أكن ابالى بشىء ففى ليلة
دخلت الحانة التى تعودت عليها فى تلك الأيام واحتسيت
وأسرفت في تعاطى الخمر وخرجت عن طورى وتحولت
الى وحش كاسر . غلت الدماء فى عروقى ولو كنت اريد
مالا لعرفت كيف أحصل عليه ، ولو كنت أريد الحب ،
لألقيت نفسى على أول امرأة يقع عليها بصرى فهناك
الكثيرات التى تشعر معهن بالسعادة وتأخذ منهن الحب
حتى ولو كان زائفا . ولكن لم اكن بحاجة الى هذا ولكنى
كنت أبحث عن شيء لا يشترى ويرتشف من شفاه
الحسان ، كنت أطلب السلوى والنسيان . ولكننى لم اجد
لذلك سبيلا . لم اجد النسيان الا في هذا الكأس الذى
ارتشف منه الخمر . كان بالنسبة لى اكسير الحياة .
من يشربه يستغرق فيما يشبه الغيبوبة وينسى انه حى
يرزق . لذلك كنت الجا اليه . لقد كنت فى أشد الحاجة
الى النسيان . وكم من مرات رفعت فيها وجهى أهتف فى

حرقة يا الهى ! لماذا تنتم منى ؟ ماذا فعلت يا الهى ولم
اكن اسمع غير صدى صوتى . لم تجب السماء . ظلت
صامتة النجوم تومض وتبرق فى لمعان رهيب كعيون
الغرباء تريد الانتقام منى . وكانت اوصالى ترتجف
وانهارت حياتى فعدت الى غرفتى خائر القوى وارتميت
الى فراشى وأنا أجهش بالبكاء . وعشت أياما طويلة
يا عادل مجردا من الحياة . لا أشعر بوجودى فى دنيا
الناس . لم اكن أحس شيئا مما يحيط بى فقد كنت انسانا
بلا عقل أو ادراك أسعى الى الوحدة وأهرب من الناس .
وانطلق فى الشوارع هائما اشعث الشعر طليق اللحية
شاحب اللون زائغ البصر حائر النفس . وأشباح مرعبة
تنعقبنى كظلى . أحاول عبثا الفرار منها . ولكن أين يكون
الفرار واصبحت لا أجد مستقر لحياتى . كرهت عملى .
واصبح هو الجحيم وكدت اتركه . ونسيت الأكل وضل
النوم طريقه الى جفونى واصبحت دنياى من حولى نارا
لا تخمد جذوتها . تسللت المخاوف الى نفسى . كان
الموت الذى يزحف نحوى . والأفكار التى تقض مضجعى .
كنت أخفى وجهى بين الوسائد واسد اذنى بأصابعى .
كان كل شىء فى عينى كريها . بشع الصورة يكشر عن أنيابه
الطويلة المفترسة التى تقطر دماء . وعرفت طريقى الى

الأطباء أشكو لهم كل العلل والأمراض ولم اجد عندهم دواء . ومضت ثلاثة شهور على تلك الحادثة المفجعة وكانها ثلاثة قرون ولم يستطع الزمن ان يضمد جراح قلبى الغائرة . كان حبها يا عادل يسرى في عروقى ممتزجا بدمائى. يمتلك حياتى . كان هو كل شيء فى حياتى قضيت معها أسعد الأيام وأهنأ ليالى عمرى . عشت معها في أعز الذكريات وأجمل المناسبات . كانت تحبنى وأحبها وكم من ليالى سهرنا فيها معا . ليالى عديدة نحكى فيها عذب الحديث ونذوق حلو السمر . كنت أشكو اليها الم الدفين حزنى العظيم فتستجيب لى بدمع فيه الرثاء والاشفاق فأجد بعض عزائى . كنت أحن اليها اذا غابت كما يحن الطير الى عشه عند الغروب . كنت أشتاق اليها اذا بعدت كما يشتاق الظامىء الى الماء فى الهجير . وحاولت ان أبحث عن حب جديد لأخماد نار الحب القديم ، وكانت كل محاولة لأخماد نارة تزيده اشتعالا ، وتبعث يه فتوة الحياة . لأنها كانت ارادة الله . ان الله اذا أراد أن يصنع مأساة مفجعة مهدلها بحب عظيم معجز وجمع بين قلبين بوثاق من الألفة والمحبة لم يربط بمثله من قبل . ثم يكتب لهذين الروحين أن ينفصلا ويتمزقا . فتتم بذلك المأساة الأليمة التى لا تمثل على مسرح الحياة الا مرة كل جيل من الأجيال وكنت أقول لنفسى ــ كيف

احب الهام وهى لا تريدنى . كيف أمنح قلبى الى من منحت
قلبها وجسدها الى صديقى ، الى من سمحت لنفسها بأن
ترقد فى احضان رجل آخر وهو اعز صديق لى ؟ كيف احب
أمراة غير شريفة تبيع جسدها الى كل من يرغب فى سوق
الرقيق الأبيض لقاء قروش قليلة تبتسم ابتسامة صفراء
الى كل من يلقاها ، تأخذ بيده ليسير فوق دربها ويرقد فى
أحضانها ؟ تلك الشيطانة التى اشفقت عليها محاولا منعها
من هذا العمل المزرى قائلا : لماذا لا تغفر لها يا أحمد ، أليس
الله غفور رحيم وتتراقص الابتسامة على شفتى ويخفق
قلبى واحس بأننى أريد الانطلاق اليها ويتراءى لى وجهها
وخيوط التوبة والخجل تحيط به واسمع صوتها يتوسل
قائلا ـ سامحنى يا أحمد . لقد كنت فى نزوة طائشة من
شيطان حبيث . اننى اعرف ان قلبك الطيب سيغفر لى
زلتى . أليس كذلك ياحبيبتى . وأصرخ وأنا أغالب الدموع.
لا ، لن اغفر لك . ومع ذلك فانا لا استطيع الحياة بدونك .
وكانت الناس تضحك ملء الأشداق منى وهى تضرب كفا
بكف بدهشة واسمع من يقول لى . ـ اتتحدث عن الحب
يا احمد ؟ فأقول لهم لا ان الحياة لا يوجد فيها ما يسمى
بالحب . اننى لا أجد أمراة تستهوينني . ان الحياة فى
نظرى هى أنثى مشتهاة وكأس لا يفرغ . ولكن عندما

ترجـع بي الذكريات . عنـدما أعود بفكرى الى التى كانت
معـى تحتـل قلبى . وبدون وداع منى لم تعـد . وبعـد أن
أخذت من فؤادى مضجعا . وظهـر الجـديد فى حيـاتى .
وراحت معه من كانت بلقائى تسـعد . لم يكن حبـا . والآن
أبحث عنهـا اذا مرت بانسـان تجعله فى عداد الموتى وهو
مازال حيا يرزق . وبعضهـا يتركها عظـاما باليـة محطمة
منهـارا يعيش فى صراع مع الرياح والأعاصير الثائرة مثـله
كمثـل الأمواج فى البحـار وهى تعـلو وتنخفض بدون عـلم
ولا ارادة . فيها لهول ما يرى الانسان ، ذلك الكائن الضعيف
فى هذه الحياة الدنيا . ويالروعة ما يلاقى . قد يكتب عـلى
الانسان أن يعجل له عذاب آخرته فى دنيـاه . فهو يقـاسى
مثل عذاب الجحيم المسـتعر . وقـد يكتب عليـه أن يـكون
الانسان الذى ولد معذبا وعاش مشردا ومات غريبا ضائعا .
لقـد فجعت فى قلبى يا عادل ولو أنك جمعت بؤس البؤساء
وعذاب المحرومين وشقاء الفقراء لكان عذابى فوقهم جميعا .
لقد كنت أتعجب وأتساءل كيف يوجد مثل هـذا العـذاب فى
الارض ثميكون عليها ما يسمى بالحياة . لقـد كانت الآلام
والأحزان تنصب دفعة واحدة فى فؤادى . اننى لا اعرف كيف
يهون فراق المحبين . فكل داء له دواء وكل عـلة تبرأ الا داء
من فارق حبيبه . وعلة العاشق ليس لها علاج . كانت المرأة

هى حياتى ووجودى كله . تفيض بالنور على حياتى . وتملأ على دنياى وتمنحنى السعادة وسر الحياة . لم استطع الى الآن أن أصدق أنها تفعل ذلك . أو أنّها سـوف تغيب عـن حياتى وسترحل عن جنة أحلامى وتترك وراءها أياما مظللة بعذاب وشقاء . لقد مضت على هذه الحادثة المشئومة ثلاثة شـهور مليئة بالأسى والحـزن . ثلاثة شـهور كاملة دمـوع ساخنة . ثلاثة شهور كاملة ذقت فيها عذاب سنين . كانت كل لحظة من لحظاتهـا مليئة بالحسرات واقتربت نهايتى . كنت احسب ذلك ولكنها لا . لقـد أراد الله أن يطيل حياتى لكى يزيد عذابى ومع ذلك لقـد دامت الحسرة في قلبى وماتت مـن خيـالى وخيالهـا يلاحقنى . أنا الذى كنت أتشـدد وأتمسك بأهداف الفضيلة . أجد حبى قد انحـدر ألى شـر وإثم . اننى لا يمكن ان اسمح بهذا الانحطاط . انه اثم كبير وان لم يتجاوز اللقاء البرىء ، اثم كبير تستحق عليه لعنـة السماء والله والملائكة والناس أجمعين واقـول لك الحقيقـة يا عادل صراحة ان دموع الفرح ستغمرنى لو علمت أنهـا ندمت . لأننى لازلت أحبهـا وأحب لهـا الخـير والسـعادة وأخاف عليها من بطش السماء وانتقام الجبار .

. . . قضيت الشهور الماضـية فى البحث عنهـا للانتقـام والثأر لنفسى . لكنى لم أعثر لهـا على اثر . وقد نشبت فى

قلبى اشواك العذاب . واستدلت فيه سهام العقاب عن ذنب لم اقترفه . فاجتمع فيه من الآلام البشرية الهائلة ما لا يعلمه الا الله سبحانة وتعالى . ، لقد ثارت فى قلبى نوازع العذاب وسياط العقاب تلهب فؤادى بالألم . وأنا اريد الخلاص منها بالانتقام . لقد بات الخير فى قلبى يصرع نوازع الشر وبرزت سيوف الحرمان وهى تفتك بأهواء الشيطان لكن لا ، لقد ارتشفت من كأس العذاب وانحدرت أعب منه وأنا لا ادرى . اكتويت بجمر الحب واحترقت بجحيم الحرمان . وعشت فى صراع مع الندم . انني بضميرى المتوثب ونفسى الطاهرة كنت أرى ادنى هفوة جريمة كبرى لا تغتفر . ، وفى يوم من أيام العذاب التى اعيش فيها وصلتنى رسالة من الذى حطم قلبى وأحال حياتى الى جحيم لا يطاق . رسالة من حسن . يا الهى . حسن يرسل الى الآن رسالة لم اصدق أن هذا المجرم الذى أباح لنفسه عذابى وشقائى بتكرم بأن يرسل لى رسالة وأنا ابحث عنه منذ ثلاثة شهور للانتقام منه . اتتصور يا عادل ان هذا الانسان يرسل الى يعتذر عما بدر منه ويلقى اللوم على القدر . الآن فقط بعث الى بكتاب التوبة والندم ـ التوبة من حبها . والندم على ما كان معها . كتب الى يقول : اخى احمد . ارجوك أن تغفر لى

زلتى وتغفر لها خطيئتها اننى لم اكن أدرى ما كان يعتمـــل
فى قلبك من حب نحوها وانك تعـرف جيدا ما هو تشـددى
وتمسكى بأهداب الفضيلة ولكنها هى والقـدر شاءا ذلك .
لقد انحدرت فى حبها الى دنيا الشر والأثم رغم عدم سـماح
نفسى بهـذا الانحطاط ولكنه الشـيطان . فعشت معها فى
صراع عنيف لم اكن يا أحمد أعرف انك تحبها . وفجأة استضاء
قلبى بنور الحقيقة المرة التى كنت أجهلها . لقـد عـرفت
كل شىء منها . عرفت أنك كنت تحبهـا وسوف تعقد قرانك
عليها بعد التخرج وعندما عرفت ذلك بصقت على وجههـا .
لقـــد أحسست بفظـاعة الجـرم الذى اقترفته فى حقـك .
ادركت بشاعة الأثم الذى انحـدرت اليــه . لمست شـناعة
الذنب الذى عشت فيــه . لقد تأكدت أن ما فعلنــاه لم يكن
شيئا هينا ابدا . لقـد كان جريمة كبرى اهتزت لها السماء .
نعم يا احمد اثم كبير حتى ان لـم يتجاوز اللقــاء البرىء .
اثم كبير فعلناه من وراء ظهرك تستحق عليـــه الانتقـــام
والأيام التى قضيتها فى غيبة الضمير . اننى أعلم يا أحمـد
أن الله سينتقم منـــا لما تناجينا به من كلمات واعلم كذلك انه
سيعاقبنا عما تهامسنا به التوبة يا أحمد هى التى ســـوف
تنجينا من عقاب الله ، الندم يجب أن نحترق بناره قبل أن
نحترق بجحيم العذاب . ، اننى أرجو كيا أحمد أن تغفر لى

زلتى . ، صلى . صلى من أجلى ومن أجلها ، واستغفر الله
لكى يغفر لى ذنبى وذنبهـا . صلى لعل الله يرحمنـا . اننى
ارتعـد خوفا من انتقـام السماء وغضب الله الجبـار . ولكن
أين المفر من هذا العذاب المنتظر ؟ وأين يكون الهـرب مـن
تلك العقوبة الهائلة ؟ الصـلاة والندم . والدموع هى كـل
شىء الآن فى حياتى . يا أحمد اننى أقـول لك .. لقد تركتها
بعد أن فشلت فى اصلاحها . وتركتها تعبث فى الأوحـال .
والآن يا أحمد اننى سـوف اسـافر للعمل فى احدى الأقطـار
العربية فأرجوك أن تغفر لنا . اننى أعلم بأن هـذا سوف
يحـدث . هذا هو مضمون الرسـالة التى أرسلها لى حسن
يا عادل قرأتهـا وأنا لا أصدق لقد مسنى ما يشبه الجنون .
نسيت عبارات الرسـالة ولبثت مـدة وأنا أفـكر . هـذا
المجرم السـافل يتركهـا بعـد أن حطـم قلبى وقلبهـا والآن
يسافر . لقد هرب المجرم من الانتقام . كانت رسالته مفاجأة
مذهلة لى . لم أكن أتوقعها . لن أغفـر له . سـوف أتركه
للقـدر يرد لى انتقامى وعرفت بعـدها يا عادل أنه لم يسافر
ولكنه انتحر . وهذه الرسالة التى أرسلها . كتبهـا وهـو
يودع الحياة ـ علمت ذلك مـن الصـحف وعشت من يومها
فى عذاب وحسرة على نفسى وعلى تلك الحزينة التى لا أعرف
أن أجـدها . وما أشـق العـذاب والـم الروح وعـذاب

الفؤاد . كانت تطوف بى فى الأحلام وهى تهمس فى أذنى :

أحمد ارجوك ان تغفر لى . ماذا فعلنا ايها الجانى على قلبك ؟ ماذا فعلنا أيها الجبار ؟ ماذا فعلنا حتى وصفتنا باقبح الصفات واحط النعوت ؟ ماذا فعلنا أيها المستبد حتى نستحق غضب الآله ؟ اننا لم نفعل شيئا . لقد نعمنا ببعض السعادة البريئة وعشنا في جو من الأحلام الهانئة . وأخذنا ما تجلت به علينا الأقدار . وحرمتنا منه قسوة الأيام . كنت أريد أن ترحم عذابنا وشقاءنا المرير . فرحنا نضيع همنا فى هناءنا . ونعيم قربنا ولقائنا . اه منك يا حبيبى . كم لاقيت منك ومازالت الاقى . أيها الجبار لا اصدق انك تريد الانتقام . آه منك يا حبيبى .. كنت عندما اسمع ذلك يا عادل اصرخ فيها ، انا لا اصدق ومضت الأيام وقررت ان اتركها للزمن والقدر للانتقام . وبدأت ألتفت الى عملى وابنى حياتى من جديد . ولكن يا عادل لم تتم المأساة بعد . لم تكتمل فصولها . انني لا اصدق انه فى الوجود آلام مثل التى أحسها واحترق منها . لقد خلق قلبى المسكين للعذاب فهو ينظر الى همومه واحزانه بمنظار ضخم ليعظمها ، آه يا قلبى . كم قاسيت وتقاسى . كم عانيت وتعانى . ولكن اتراك ايها القلب تستطيع أن تظل محتملا آلامك واحزانك فى صمت ورضاء .

أم ستفتك بك أحزانك فتدعك صريع الأسى والهموم .
الهى ! ! ان كنت للعذاب والألم خلقتنى فقوتى لا حتماله ، يا الهى .

***

... والآن بعد ستة عشرة عاما تكتمل المأساة ، لقد سافرت في خلالّ هذه الأعوام وعملت في كفاح مرير ، ونسيت الحب والمرأة . ووصلت الى أعلى المراكز فى الشركة التى أعمل بها . لم يكن أحد يعرف ما يكنه قلبى من مآسى وأحزان حتى كان يوما عندما أرسل الى القدر فتاة تبحث عن عمل فاحببتها وعقدت قرانى عليها وفى ليلة الزفاف حدثت المفاجاة المذهلة . لقد وصلتنى مكالمة تليفونية تطلب منى أن أرى السلسلة المعلقة فى رقبتها وفعلا تم ذلك ورأيت العذاب فيها . رأيت صورة من كانت أعز أنثى فى خيالى . وأصبحت أقذر امرأة تخطر على بالى . رأيت عذاب نفسى من أجلها وضحيت بنفسى لكى تعيش وتحيا في حياة شريفة يملؤها الحب والسعادة . أتعرف من رأيت .. رأيت صورة الهام . وصرخت فيها وأنا أتساءل . اذا هذه ابنتها . وما أدرانى أنها ليست ابنتى . مضى على فى الاسكندرية أسبوع ياعادل وأنا فى عذاب وحيرة . أسائل نفسى ما المانع أن تكون هذه

الفتاة ابنتى . الم ارقد فى أحضان أمها . نعم رقدنا سـويا
فى احضان الرذيلة . لكنه لا يوجد دليل على هذا فقـد تكون
ابنة حسن ، أو تكون ابنة رجل يسـير الآن وهو لا يدرى ،
رجل من الرجال الكثيرين الذين تنقلت بينهم ، هـــذا هـو
العـذاب الذى أعيش فيــه . أخاف أن أصرح بذلك لئـاهد
فيحدث لها ما لم يكن في الحسبان وكيف أقول لهـا . لقـد
تركتها هذا الاسبوع وانا فى حيرة من أمرى . لقـد أصـبحت
بحكـم القانون زوجتى ، ولكن بحكم الشريعة السماوية لا .
لا يمكن أن تكون هـذه زوجتى ، فهى على الأقـل ابنـة مـن
كنت سوف أتزوجهـا . هذه يا عادل قصتى اضعها بين يديك
فأرجـــوك أن تســـاعدنى لكى ترحمنى وترحـــم هـــذين
المسكنين من العـذاب الذى يعيشـان فيه ، ونظر عادل الى
بذهول وهو يقول . ـ انهـا قصـة عجيبة يا أحمد ولكنهـا
تتكرر كثيرا . فكم من شـاب يرقد فى أحضان الرذيلة مـن
أجل شهوة لن تدوم ثوانى ، تجـد أطفـالا صـغارا بعـدها
يتعذبون وينشأون وهم لا يدرون شـيئا عن الماضى ، وهنـا
أغرورقت عينا عادل بالدموع وتمتم ، ـ مسكينة تلك الفتاة ،

* * *

فنظرت اليه قائلا . ، . . . أليس لديك ما تقترحه ، ـ
الحق يا أحمـد انه ليس لى راى فى هـــذا الموضـــوع الآن

فأنا نفسى في وضــع حســـاس لا تشعــر أنت بحرجـه وقسـوته اذا قلت لك رايي لا أجـد حلا سـوى البحث عـن الهام وبعـدها نعـرف منهـا الحقيقة . ـ ولـكن يا عادل البحث عـن الهـام سـوف يطـول ، وهـل مـن الممكن أن تجدها ؟ ـ نعم يا أحمـد واننى ســوف أتصـل بالشركة وسأحصل على أجازة لكى أواصل البحث معـك فأن هـذه الفتاة ليس لهـا ذنب حتى تعـذبها معك وأننى انصحك أن تقول لهـا الحقيقة . ـ لا يا عادل اننى لن أقول لها شـيئا الآن الا بعـد أن نكل مـن البحث عـن الهـام ، وافترقنـا وذهب عـادل على أن يعـود في الصبـاح لنبـدأ البحث من جـديد .

أين أنا من أيام المـاضى . كنت أسـير وحـدى عـلى الطريق ، طريق الآلام والعـذاب . وحـدى مع آثار جـراح سـيوف الأحـزان التى دقت فى قلبى وصـدرى تنزف دماء وألمـا وحقـدا . كنت أحمـل على ظهرى أثقـال الدنيـا وهمومها ومتـاعبهـا وآلامها . كانت الطرق امامى فارغـة وعرة مليئة . لم اسكر فكم من مرات سمعت أن نبيذ الحب لا يسكر . وشربت ولم تفرغ زجاجة الحب من يدى ونسيت التاريخ والزمن ونسيت من أنا واين أنا ؟

وحيــدا اعيش فى عذاب الحرمان وشقاء الأوهام وذكريات الماضى بعــد ستة عشرة عاما يعود الماضى ليذكرنى بما حدث وكم من مرات صرخت بكل ما فى صوتى من رجولة وخشــونة وضجيج وأنين « ماذا فعلت بى أيهــا الحب ؟ » لم تمنحنى غير لحظات من القلق والعذاب والشقاء ، قل لى لماذا تؤلمنى وتتلاعب بعواطفى وتمزقنى ٠ تهدم جسدى القوى ، جسدى الذى لا أملك غيره من الحياة . لقد جعلتها امرأة وأعدت الى قلبها الحياة وفتحت في صدرها روح الاستمرار والبقاء وقلت لها كونى كما أريدك فكانت . وكانت الحكاية ولا أروع منها حكاية ، قبل أن التقى بها كانت أمرأة بجسد أنيق وشــعر يتهادى بدلال على عينيها وعنقها وكتفيها . أن الزمن سوف يسجل قصة الحب الذى حطم قلبى ليخلق من حطــامه امرأة ليست كسائر النساء ٠ فحب الرجــل للمرأة كالماء للحيــاة . فكما أن الحياة تستحيل بلا ماء . فكذلك تستحيل الحيــاة البشرية بدون حب وحياة كالحب بدون حب لا تسمى حيــاة لأن الحب هو الحياة . أيتها السماء . أمطــرى الســعادة . انثرى الحب . فقلوب البشر لم يعد بهــا رحمة ولا شفقة . الحب يغير من كبرياء البشر ٠ يحطم الصخر فوق الجبــل . يرســل المـــاء للعطشى ٠ آه ما اجمــل الحب . اذا كان بين عاشقين . تضيع من بينهم النزاعات البشرية ، لم أنتظــر

حتى الصباح فقد كنت فى أشد حالات العذاب ، وقررت فى
نفسى الخروج من الفندق وخرجت كأنى اسير فى حلم
لا كما يحلم الناس لأن الأحزان قد افقدتنى جميع الحواس
الاحاسة البصر . ، سرت في هدوء وبطء ثم عرجت فى سبيل
آخر غير الذى كنت أسلكه . وانا هائم على وجهى أضرب فى
الأرض لا أعرف لنفسى مستقرا ولا مصيرا . كنت مجللا
بالعار . وتجولت يومها بالمدينة وانا أتفرس فى وجه كل من
ألقاه عسى أن أجدها ولكن اين ؟؟ . مضت بى الساعات بطيئة
ولم أتذوق طعم النوم وكيف ينام ذوهم وفكر وعذاب . ولم
أشعر الا بنفسى وانا مستلقى على احدى الأرائك على
كورنيش البحر . وظللت على هذا الوضع ساعات لم أدرى
كم هى . . حتى جاء الشرطى وايقظنى من غفوتى . –
آيا أستاذ . هل هناك من خدمة ؟ ونظرت اليه باستغراب .
– وما دخلك أنت بى ؟ الساعة الآن الثالثة بعد منتصف
الليل وغير مسموح لك بالجلوس هكذا . وانصرفت وهو
يودعنى بنظرات الشك . ورأيت أنوار أحد الملاهى وهى
تتراقص امامى ودخلت مسرعا وانا أجر قدمى جرا . والقيت
بنفسى على أول كرسى وانا فى حيرة وجاء الجرسون وطلبت
مشروبا دائئا ورأيت اناسا ترقص في مرح . يلقون بالأحزان
وراء ظهورهم وأنا وحدى يارب اجتر عذابى . وقررت فى

نفسى ألا أعود الا ومعى الحقيقة . وهممت بالانصراف وأنا
اضع يدى فى جيبى لكى ادفع الحساب ثمن المشروب واكتشفت
اننى لا املك مالا . لقد نسيت النقود فى الفندق وأسرعت
بالخروج قبل أن يرانى احد وسرت فى الطريق الطويل بخطوات
مثقلة . وجاء الصباح مشرقا جميلا . لقد أشرقت الشمس
وبدأ يوم جديد في حياتى . يوم يحمل بين طياته هما جديدا ،
لقد أصبحت ذا منظر كريه . لم أحلق ذقنى منذ أسبوع
والثياب كنت اجلس وارقد بها . وأصبحت لا فرق بينى وبين
انسان شريد . نعم لقد أصبحت متشرد وأنا الآن أسير
على اقدام لا وجود لها وجسد اضناه الجوع والعذاب .
أن منظر الفتاة الطيبة القلب الحسناء الطاهرة هو أشد
عوامل التأنيب واعظمها اثرا فى نفس الرجل . فان الكثيرين
منا نحن الرجال يغرمون بنساء شريرات ساقطات . فلماذا
لأنهن يساعدننا فى شرورنا ولأنهن يشجعننا فى غينا وضلالنا
ذلك يغرم الرجال بهن بينما نرى الكثيرات من النساء
الفاضلات لا يجدن من يهتم بهن ويرغب في صحبتهن .

* * *

... أشرقت الساعة على التاسعة صباحا . وبينما كنت
اسير فى الطريق على غير هدى . ترامى الى سمعى صوت

امرأة تغنى . صوت كله اسى وحزن . يمس شغاف القلب
ويقطع نياطه فى مثل هذا الصباح وتلفت خلفى واذا بى اجد
امرأة ملفحة بالسـواد تجلس وهى تغنى غنـاء لا مثيـل له
والمارة يلقون اليها بالنقود وجال بخيالى منظر كلبة جائعـة
يلقى اليها بالطعام . كان صـوت المرأة رخيما رنانا وعـدت
وجلست بجوارها وانا أسـتمع الى صـوتها وقد انسـابت
الدموع مـن عينى حزنا وألما بعـد أن فرغت مـن أغنيتها .
ورأيتها تسعل سعالا حادا بصقت على أثره دماء . ياالهى !!
مريضة بالسل تسـتجدى الناس – ماذا فعلت تلك البائسة
فى حياتها ؟ هل فعلت ذنبا يستحق ذلك العذاب ؟ امرأة كان
المفروض أن تكون الآن بين ابنائها ، تجلس فوق أحد الأرصفة
تمد يديها تستجدى وهى مريضـة بـداء مميت بالصـدر .
ارحمها يارب ورأيتها تحـاول أن تنهض فذهبت اليهـا وانا
آخذها بين يدى لكى اسـاعدها على أن تقف وانا اتفـرس
فيها بعد أن رأيت ثيابها الرثة وجسمها النحيل الزيل الجائع
ورأيت حول عينيها وفمها تجاعيد الشقاء والألم مرتسمة فى
أبرز معانيها وحدقت في وجهها ثم أخـذتنى الريبة فى امرها
وتحـول الشـك الى يقين فوثبت الى جانبهـا وصرخت وانا
لا أصـدق عيناى . – الهـام . فرفعت عينهـا فى دهشـة
واضطربت وتقهقرت راجعة . وزاد شحوب وجهها واتسـاع

عينيها وارتسم على وجهها مزيج من الخوف والفضول .
نعم انها عشيقتى السابقة وامسكت بيديها وانا أهزها
بعنف . ـ الهام ، الهام !! ، مش معقول لماذا فعلت بنفسك
ذلك ؟ هل انتهى بك الأمر الى هذا . تتضورين فى الطرقات .
يا الهى . لقد كنت أحسب ان هناك وسائل غير هذا لكسب
القوت وخاصة اذا كان الطالب فتاة مستهترة ذات وجه
جميل ونفس تاصل فيها الشر والألم . ونظرت الى وهى
تتعجب . انت ما جاء بك الآن ؟ الا يكفى ما فعلت بى . ابتعد
يا الهام ، لقد بحثت عنك طويلا وفى كل مكان واننى لا اتساءل
يا الهام ، لقد بحثت عنك طويلا وفي كل مكان واننى لأتساءل
عن العشيق السعيد الذى انفرد بك طوال هذه المدة فقالت
فى هدوء ـ عشيق ؟ اذا كنت أنت احمد فانك تعرف عشيقى
جيدا فضحكت وانا أقول . ـ هذا جميلٌ أن لديك طريقة
خاصة في حب الموتى . أن الجثث لا تضم الحسان ولا تهب
القبلات لقد مات عشيقك يا الهام . فتقلص وجهها وصاحت
بصوت مرتفع متقطع . ماذا تقول . لا أصدق . يا الهى .
مات من كنت أكد وأكدح ، مات من تسولت فى الشوارع
والطرقات وانا اتضور جوعا لكى اجد ما اقتات به ولكن رغم
ذلك كنت أرجو وانتظر . أنتظر كلمة واحدة من حسن .
فنظرت اليها قائلا ـ استمعى الى اننى اقسم لك بكل ما هو

عزيز ومقدس أن حسن مات وقد تكون روحه فى جنات الخلد
أما جسـده الذى كنت تحبينه وتعبدينه فقد هلك واصـبح
كومة من التراب . وصرخت وهى تقول . ـ لا . حسـن لـم
يمت . حسن يعيش الآن . وجرت مـن أمامى وانا أحـاول
ان أمسك بها . أريد أن اكلمهـا ولكنهـا تركتنى وسـارت
تحاول أن تعبر الشارع وأنا أصرخ فيهـا . الهام . الهام .
عودى أريدك يا الهام ولم تسمع ندائى . لقد كان القدر اسرع
منى ، لقد جاء من يأخذها ويكتب لها النهاية . جاءت عـربة
مسرعة وصدمتها صدمة أودت بحياتها . لقد ماتت ، وجريت
وأنا أصرخ واستغيث فى جنون ، لقد تحولت الى وحش كاسر
وامسكت بالسائق وأنا أسبه ولكن ماذا يجدى الآن كل ذلك
وامسكت بهـا جثة هامدة لا حراك بهـا وأنا اقبلها وأصرخ
فيها لم ذلك يا الهام ، بحثت عنك ستة عشر عاما والآن أجدك
جثة هامدة . يارب . لقد اخذتها وأخذت معهـا الحقيقة لـم
أعرف السر الذى ابحث عنه وأصـبحت في عـذاب . يا الهى
ماذا تريد منى بعـد الشـقاء الذى أعيش فيـه الآن .
وتنبهت على أصوات النـاس المتجمعة حولنـا تنظـر الى
جثة جميلة ورجل كريه المنظـر وهو يقبلها بعد أن ماتت ،
جعلت أفـرك يدها المثلجـة ثم لثمت شـفتيها دون أن أعى ،
قبلة واحدة فقط ، لى انا الذى حرمت لذة القبـلات دهـرا ،

كـلا ، عشر قبـلات ، عشرون ، مائـة ، لثمت وجنتيهـا
وعينيهـا وشـعرها ، وكنت الثم كل مكان مـن جثـة هامدة
لا تبدى حراكا ـ الهام . الهام . خبرينى ما هو الموت ؟ أهو
عذاب ؟ أم شقاء ؟ أم وسيلة نصل بها للسعادة .. أتذكرين
الآن شيئا عن الحب . وأنت هناك . تذكرى أن قبلاتى كانت
آخـر ما انطبع على شفتيك . ستحرقك قبلاتى فى الجحيم
وتلوثك فى النعيم . ودارت الأرض بى وبكل شىء من حوْلى .
السماء والأشجار . ولم اشـعر الا برجـال الشرطة وذهبت
معهم وتم أخذ الجثة لدفنها . لقـد ذهبت معها الحقيقة . لم
ذلك ايها القـدر العنيد تعذبنى بعذاب لا أقدر على تحمله .
لقـد عاشت بائسة فى حياتهـا وماتت متشردة تبحث قـوت
يومها عن طعام لمعدة خاوية . لقد أضـناها المرض . لقـد
تسـببت انا فى كل ذلك . لا هى السـبب . المهم ذهبت الى
نقطة البوليس كشاهد على الحادث . وهنـاك ماذا اقـول .
ماذا اقول . هل اقل أن السائق هو الذى قتلها . وماذا يفيد
السجن له ، هل ستعود الى الحياة مرة أخرى ان هو دخـل
السجن بسبب موتها . صحيح أنه مخطىء وهى تشـترك
معه فى ذلك الا يجوز انه يعول أسرة تنتظـره عنـد عودته
يحمل لهـا بين يديه الطعام . ماذا تفعل تلك الأسرة ان لـم
يعد وتعرف أنه دخل السجن بسبب حادث ماتت فيه أمرأة .

لا لن أقول الحقيقة . ما ادرانى انه لم يكن يفكر وهو سائر
فى أطفال صغار تركهم فى المنزل لا يجدون قوت يومهم . مرت
بى تلك الأفكار وانا أجلس امام المحقق واخيرا تكلمت بعد
أن قدم لى سيجارة . قلت له انها هى التى ألقت بنفسها
أمام السائق وذلك ما رايته بعينى . ورأيت السائق ينظر
الى بذهول ودهشة . الست انا الذى كنت منذ لحظات أصرخ
فيه واتهمه بقتل روحا بريئة والآن اقف بجواره وأقول
ما يخالف الحقيقة ونظرت اليه ولسان حالى يقول له انني
لا أرضى ضميرى ولكن سوف أجعلك تخرج من السجن فلقد
ماتت وما ذنبك أنت لكى تدخل السجن . اليست الأعمار بيد
الله ؟ لقد انتهت حياتها ، وهل سجنك سيعود لها باالحياة ؟
ليت ذلك . اذا فلابد من ان تترك لحال سبيلك . وأدليت
باقوالى فى المحضر المعد لذلك بقسم البوليس وانتهى
التحقق وتم حجز السائق لتحويله الى النيابة . وخرجت وانا
لا أعرف أين أذهب الآن بعد هذا الذى حدث . أصبحت تائها
شريدا . آه يارب كم من مآسى تضاف الى حياتى . كنت
غريقا بين أمواج الحياة وعندما هممت بامساك القشة التى
سوف أتعلق بها للخروج الى دنيا الراحة والأمان تحطمت
القشة وأخذت معها آمالى وزادت احزانى . آه يارب لم ذلك
العذاب ؟ يارب ارحمنى لم أعد أرى شيئا أمامى . سرت

وحدى انهب دروب الأرض في ضيق شديد . يا الهى ..
ما هذه الحياة التى اعيش فيها . انها مرتع والعيش فيها
صراع وطبائع الناس مختلفة ولكنهم فى خصام . والراحة
فيها لمن يبتعد عن الاثام ولكنها حياة ظالمة . رقررت فى نفسى
ألا اعود الى الفندق لكى أرى ناهد . فلم يعد هناك شىء
أعرفه عنها . لقد آلمتنى حياتها واستبد بى الاضطراب
وبكى قلبى وان لم تبك عيناى . هبت رياح دافئة . هزت
اغصان الشجر حولى وظهرت الشمس في الأفق . ما أجمل
الطبيعة بشمسها واشجارها وزهورها . ما أروع سكونها
المهيب . أنها الصديق الأوحد الذى لا يهجرنا أبدا والسعادة
الوحيدة التى تخلص لنا أبدا .

***

... مضى النهار وأنا أتجول وحدى فى حزن عميق
وألم دفين لا أعرف ماذا افعل لقد انتهت حياتى . لقد بكيت
طويلا ولكن لم تهدأ الحمى التى تستعد فى دمى . لقد مرت
عدة أيام لم أذهب فيها الى الفندق . مرت بى هذه الأيام
وانا أتجول بين الأزقة والشوارع لا أعرف لنفسى مستقرا
ولا مصيرا . آه . ياربى . آه . من تلك الأيام السوداء فى
حياتى . الحالكة الجدباء . تلك الفترة الأليمة الحزينة .
اننى لا أعرف كيف قضيتها ونجوت منها . لا أدرى .

لا أدرى . ولكنها مرت وانقضت كما ينقضى كل شيء فى هذا العالم . نعم مرت هذه الأيام بعد أن حطمت أعصابى ومشاعرى . ثم استولى على الهدوء . هدوء هو فى الحقيقة تراخى وخوار وبلاهة . لقد أراد الله ولا مرد لارادته . ولذلك اصبحت شريد واصبحت حياتى لا تهم احدا غيرى . لقد فهمت الآن كل شيء . اقتربت الساعة من العاشرة مساء وأنا لا استقر على هدف . وتذكرت ناهد واشفقت عليها لذلك قررت أن أعود اليها لكى ارى حلا لهذه المشكلة آلتى أعيش فيها ومرت بى الأفكار مسرعة وانحدرت الدموع على خدى تمسح آثار الماضى وتخفف من العذاب الذى أعيش فيه . ونهضت بسرعة والدموع لا تزال تترقرق في عينى . واتكأت على السور الحديدى الذى أمامى لقد اصبح جسدى فى وهن لا اقدر معه على الوقوف وحدى وسرت فى بطء والم في طريقى الى الفندق . كنت أسير والشوارع من حولى مليئة بالناس وكل شيء تشع منه السعادة ويزخر بالمرح والغبطة . فاستولى على الحزن والآسى وكنت على الرغم من ذلك ارغب فى التوبة والعودة الى المرح والتمتع بالحياة . ووصلت الى الفندق وقبل أن أصل بحوالى خمس دقائق خيل لى أن أعود من حيثأتيت فلم يعد هناك أمل فى حل مشكلتى . لم أكن أدرى أنه يوجد من يحل لنا مشكلتنا بطريقته الخاصة .

لم لكن أدرى ذلك . وعندما هممت بدخول الفندق أحسست بانقباض شديد فى صدرى . احسست كأننى فقدت شـيئا غاليـا أو عـزيزا . ومرت بى خواطـر مشوشـة . لا اتبين ماذا تريد ان تقول لى . كانت خواطـر تاتى وتذهب مثـل امواج البحر العاليـة . وعندما ترتطم بالشـاطىء وتعـود مـرة اخـرى ... وتلفت حـولى فرأيت ابواب الفنـدق مفتوحة على مصراعيها . وجـو من الكآبة يسـود المكان . ودلفت الى الصالون فوجدت عادل جالسـا وهو يضـع يـده على خـده فى حزن عميق . ذعـرت . فركت عينى بقسـوة لم أصدق ما رأيت . لقد رأيت عـادل وهـو يتقـدم منـى باكيا بدموع غزيرة . وصرخت ماذا حدث يا عادل ؟

ـ أين كنت ؟ يا أحمد منذ يومين وأنا أبحث عنـك . ـ لمـاذا يا عادل وما هـذه الدموع ، تـكلم ماذا حـدث ؟ لقـد ماتت . ماتت يا أحمد . وصرخت . مـن يا عادل الذى مات ـ ناهـد يا احمـد وتمتمت بكلمـات غـير مفهـومة . لم اكـن ادرى ماذا أقـول ودارت الدنيـا بى وشـعرت بأوصالى وقد تصلبت وأصـبحت زائغ البصر . ناهـد .. حبيبتى ماتت ؟ لا مش معقول ، وصرخت بصـوت مرتفـع وانهمـرت الدموع مـن عينى . لم يارب هـذا العـذاب ماذا فعلت يارب . ألا يكفى ما حـدث . هل أهرب مـن الحـزن

لكى اجـده أمامى مجسـدا فى كل مـكان أذهب اليـه . لمـاذا
أخذت الموت . لمـاذا لم يرحـم شبابهـا . تـكلم يا عادل .
انطق. . ارجوك اننى لا أصـدق ما أسمع ، ونظـر الى عادل
قائلا لقـد عرفت ناهـد كل شىء يا أحمـد وصلتها رسالة من
أمهـا اخبرتهـا بكل شىء عـن حيـاتها لذلك فضـلت الموت
وتخلصت من حياتها . لـم يكن هنـاك أحـد بجوارها لكى
ينقذها من هـذا الوحش الكاسر . الذى يتجسـد أمامنا فى
ساعات اليأس والضيق . وعندما جئت الى الفنـدق حسب
الموعد الذى اتفقنا عليه سـويا ، عرفت من ادارة الفنـــدق
ما حدث وطلب منى الجلوس انتظـارا للذهاب معهـــا الى
المستشفى حتى يمكن معـرفة سـبب الوفاة ، اذا لا بد مـن
تشريح الجثـة قبل الدفن . كفى يا عادل . انهـا ماتت ،
اليس كذلك . ودارت الأفـكار براسى لقـد تلاشى كل أمـــل
لى فى أن أصبح انسانا شريفا ، بموتهـا ضـاع كل أمـل فى
انقـاذى . وانطلقت أجـرى كالمجنــون وأبكى بكاء حـــارا
بكاء لم يبكه أحـــد من قبلى . أليس فى مقـدورى أن أموت
لكى ألحق بهـا . أليس فى استطاعتى أن افقد السـمع
والبصر والنطـق والحس . لم يارب لا يقف هـــذا القـــلب
النابض الذى لا يدفـع فى شراييني غـــير الفسـاد والمرارة
والألم . ولحـق بى عادل فى الحجـرة وأنا ملقى على السرير

انتحب . ـ كفى يا احمـد ، لقد انتهى كل شيء ، لماذا رحلت
واين كنت ؟ ومد يده برسالة تركتها قبل أن تودع الحيـــاة .
قرات بين سطورها هذه الكلمات . انك تحبنى يا أبى حبــا
برهنت عليـــه الآمك واحزانك لا اريد أن يســوقك الحـــزن
والياس الى اللحاق بى ، لقـد عرفت الآن كل شيء ولم ادرى
ماذا افعل ولكنى وجدت الحـل المنـاسب وهو الموت . نـعـم
يا ابى هـذا هو الحل المعقول . لقـد ذكرت امى فى الرســالة
قبـل أن أتخلص من حيـاتى . قالت انك ابى ، وانهـا لـم
تعلم بالزواج الا من يومين فقط ، ولذلك كان موتى هـو الشيء
المناسب حتى يمكن وضـع نهـاية لهذه المأساه المفجعة التى
تعيش فيهـا فكيف تعيش مع فتاة هى ابنتك ، كيف تعيش
فتاة مع ابيها بعـد ان أصـبحت زوجتـه كيف يمـكن ذلك
والقيت بالرســالة على الأرض وانـا اتمتم . آه يافتـاتى
العزيزة !! لقـد ذهبت ولم يبق لى في الحياة شيء بعـدك .
لقـد كانت روحى معـك فى مسيرك وذهبت ومعك سـعادتى
وحياتى فـكيف العيش بدونك يا فتاتي . لقـد ماتت امك
بالأمس وانت اليوم . لم يبق سواى انا الشريك الثـالث فى
هذه الجريمة ، نعم انهـا جريمة نصنعها بايدينا ونحن نلهو
ولكن لا يوجد قانون للعقاب . فكم مـن شاب وفتاة يرتكبان
هذه الجريمة يوميا تحت سلطان الكبت الجرمان باسم الشهوة

الجسدية ، الشهوة الجنسية الدنيئة . وكم من مولود يخرج
الى الحيـاة وهو لا يدرى ماذا ينتظره . ربما تتكرر حياتنـا
من جديد ولمـاذا لا ؟ اليسـت كل امراة تسـقط فى الخطيئة ،
تحاول أن تتخلص مـن وليـدها بالقـائه فوق الأرصـفة او
تتخلص منه بالموت ، ربما يجـد هذا المولود من يأخذ بيـده
وينقذه من الموت فيشب وهو لا يدرى . ماذا سوف يحـدث
له مستقبلا ، نعم يا حياتى ، نحن المذنبون اولا واخيرا وليس
القـدر . اننا نحن الذين نصنع الشر بايدينا . آه يا فتـاتى
العزيزة ، آه لو تقدرين وتدرين ما انا فيه الآن . واجهشت
بالبـكاء وطلبت مـن عادل الذهاب للنـوم على أن يعـود فى
الصباح ، وجلست فى صمت رهيب واحسست بوحشـة كئيبة
فى الحجرة ، ومشيت متمهلا الى باب الغـرفة الأخـرى التى
كانت توجد بهـا ناهد وفتحت البـاب وسرت رعشـة في
اوصـالى جعلتنى اصرخ فى جنـون ، وجـريت الى السرير
وهجمت على الجسد الراقد أمامى أمزق المـلاءة التى تلفه .
لا ، لا يمكن أن تكون ناهد هنـا . لم اصـدق وجلست امزق
كل شىء أمامى وبرز الجسـد الجميل الناصع البياض وخفق
قلبى بسرعة وانقطعت انفاسى ونظرت الى ذلك الوجه ورايت
الشعر الذهبى الطويل متهدلا على الكتف والأهداب الطويلة
متراخية مع الجفنين الجميلتين . واليـدان معقودتان فـوق

الصدر الهابط برفق وحنان ، لقد صدقت الآن أنها ماتت .
وجلست امامها وانا افكر وأتذكر . اليس هذا هو الجسد
الذى طالما كنت اتمنى ان احتويه بين ساعدى ولو مرة
واحدة ، وامسكت بها وانا أهزها بعنف . ناهد ، انا اليك
افتحى عينيك ، انظرى الى نظرة الوداع . حبيبتى لقد
التقينا بين الأموات بعد أيام من الفراق المؤلم . واندفعت
الى صدرها اشدها من ذراعيها اداعب شعرها ، تأوهت
وبكيت وكدت اقتل نفسى وانا أصيح المرة تلو الأخرى .
ناهد قومى حدثينى – يا الهى انت لم تأخذ منى ناهد
بل أخذت روحى . ناهد لم تمت . انا الذى ضعت بين
الأموات والأحياء ، ارحمنى يارب من ذلك العذاب وركعت
باكيا وقد لصقت شفتى على موضع الفم من جسدها فى قبلة
هى الثلج بعينه كانت باردة وانا احاول أبحث عن الانسان
الذى ضاع من حياتى ، وخيل لى انها تبتسم بكبرياء
وسخرية منى . ومن اوهام حبنا الذى مات ودفن مع
الذكريات . ناهد ، عودى وسوف نبدأ من جديد . تعالى
لأروى لك أحلى الحكايات . لنسرح فى عالم الوهم – لنتوه فى
دروب الحياة ونظرت اليها فاذا هى صامتة لا تتكلم ، ورأيت
وجه الملاك ، وقد ضاعت منه حمرة الخدود . نصرخت وأنا
اتمسك ببقايا الوهم . وحاولت أن أدافع عن حبى وقلبى

الذى عاش ثم مات وأخيرا ، استسلمت للقضاء والقدر . وغاب حبيبى وأخذ معه الحلم الهادىء الذى كنت أعيش فيه . الحلم الى عشته بدمى . بقلبى بأعصابى . بكل ذرة من كيانى . وانتهت قصة حبى التى عشتها وأنا أحاول أن أتخلص من بقايا الماضى الذى حطم كبريائى واذل قلبى . لم أكن أدرى أنها قصة الماضى وقد عادت من جديد تلبس ثوبا جديدا وراحت الأم وابنتها فى سبات عميق بين بقايا الاموات . ولم أتركهما . ومن يومها وأنا أذهب يوميا الى القبر أفرشه بالزهور وأبكى بالدموع على تلك الذكريات ، التى ترقد فى باطن القبر مع الأموات .

وأخيرا أرجو أن تكون قد استمتعت بقراءة هذه المأساة التى عشت فيها أعواما وأعواما . وأرجو أن تغفر لى ان كنت أطلت عليك او جعلتك تقرا حياة لانسان لا صلة لك به ولكنها جزء من حياة الناس لأنها تجربة كثيرا ما تحدث بيننا دون أن ندرى العواقب . انها قصة من حياة الناس خلقها القدر وتفنن فى مأساتها . فكانت قصة حياتي .

تمت بحمد الله

ليلة حب

التقيت بها على رصيف المحطة في ليلة من ليالى الشتاء ..
فابتدرتها قائلا ..
ـ أراك ترتجفين .. وجسمك تصطك عظامه .
قالت : نعم فالليلة قاسية البرودة .
قلت لها : أين مرقـدك .
قالت : لا أعرف ماذا تبغى ..
قلت لها : الليلة باردة ونحن نبحث عن الدفء ، فتعالى معى
تدثرى بجسدى عسى ان تجدى الدفء بين حناياه.
قالت : أعوذ بالله ..
قلت لها لمـاذا .
قالت : انك شيطان أتظن ان الحياة سهلة هكذا .
قلت لها : انظرى الى عينى أنها تبحث عن عينيك لا تخفى
فيها شـقائى وبؤسى ، أريد وجهـك بابتسامته
المشرقة حتى اسعد بقربه .
قالت : ماذا تريد .. كن صريحا .
قلت لها : اريد ان ادفن رأسى بين طيات شعرك المسدل على
اكتافك اريد أن أرشف من رحيق أنفاسك وأمتص
من صدرك زادى ، اريد كأسـك المعطر برائحـة
الانوثـة .
قالت : وهى تصرخ كفى .. كفى ..

قلت لها : أنظرى الى جيدا لتعرف صدق حديثى .

قالت : اننى أرى فى عينيك الحنان الخادع والنفــاق القاتل
والحب الشهوانى والرغبة الجامحة في امتلاك ما ليس
لك .. أليس كذلك .

قلت لها : اننى بشر ياحياتى .. خلقت للصراع .. للوصول
الى غايتى والبحث عن حقيقتى .

قالت : والان ماذا تريد منى ..

قلت لها : أريدك أنت .

قالت : تريدنى للعبث أم للمتعة ايها الانسان المتكبر الباحث
عن راحة نفسك وتارك الغير يجرعون كأس العذاب .

ونظــرت اليهــا وتلاقت العينــان وتلامست الايادى ..
وسرنا ننتزع من الارض خطانا .. نسير فرحين لا نشــعر
بما حولنا من برودة فى الجو ..

وتباسمنــا وتناجينــا ..

والتقتنــا انفاســنا ..

ومضى الليل الطويل وانا متدثر بجسدها المعبق برائحــة
الخطيئــة الحمقــاء .

وكانت ليلة من ليالى الشتاء ..

ابتســـامة شـــارده

مددت يدى الى الحياة باسما فعبست فى وجهى طلبت منها السعادة فاعطتنى الاحزان والشقاء الذى أعجز عن تحمله ..

اننى جئت اليك مطروحا على فراش مغلف بحنان الامومة كنت أبكى واضحك وأمرح ولا هم لى سوى طعـام وشراب ونوم مع الاحلام تحرسنى الملائكة الاطهار ..

وعندما شببت عن الطوق حاولت ان اشق طريقى واسير مع السائرين ولكن هيهات فالنار من حولى تحرقنى والعذاب سياط تمزق جسدى النهار بفعل الفاقه والحزن أعباء كؤوس الخمر قبل أن يبزغ النهـار مشرقا بنوره على الازهار التى تتفتح فى انتظار الجبار الذى يقطفها ليلقى بها في دنيا الظلام تداس باقدام بالية تمشى الهوينه على أرض يابسة بفضل ظلم الانسان لاخيه الانسان .

أيتهـا الحيـاة ..

انسيت من أنـا ..

انا تلك الحثاله التى سهرت الليل تبحث عن رفيق يبعث تقتل الاباء والابناء سكارى بعطرها الفواح وفى النهاية القى بى الى الطريق المليء بالاشواك الى تدمى الايادى .

انا تلك الحثاله التى جاءت من تمتع رجل وامراة بشهوة الدفء بين حناياها يحطم بقيتها الباقية ولكن لا أمل هناك لم أحصل على ما أبغى ولا أنا حققت ما أريد .

مازال الشقاء يجدو بى .. ومازال الالم يعتصرنى ويدمى قلبى .. والحب مازال بعيد المنـال فهو بالنسـبة لى وهـم وخيـال ..

ومع ذلك فانا الان أعيش وأكافح لكى أصل وأبنى واعمل في صمت للوصول الى طريق أشعر فيه بالحنان الدافىء الذى طالما تغنى به الشعراء وجعلت منه قصص الحب والغـرام خيال بعيد المنـال ..

وأخيرا أيتها الحيـاة لم اجد سـببا للبكاء فالدمعة غالية أضنى بها على حسرتى الباقية وعذابى اللامحدود اننى اترك الاهات تسمعنى أعبر الطريق حتى نصل سـويا الى نهـاية المطاف فى دنيا يقول الناس عنها انها دنيا السعادة والصفاء وانا أجدها غير ذلك فهى شقاء فى شقاء ..

وداعا حتى نلتقى مره أخرى على طريق الوفاء والمحبـة ..

شـــكر وتقـــدير

أناب السـيد الرئيس محمد أنو السـادات السـيد الوزير المحافظ سـعد مأمون بتسليم السيد محمد عمر الشطبى مدير عام دار الشكر ورئيس جمعيـة رعـاية الأرامل والمطلقـات خطـاب شـكر على اصداره كتاب نهـاية الحروب السادات ـ كارتر والذى يتناول حياة الرئيسين واتفاقية كامب دافيـد وأسرة دار الفكر والعاملين بهـا تتقدم بالشكر للسيد الرئيس على تقديره للدار ومديرها العـام ..

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٨٨/٥٠٨١

مطبعة زهران
٤ شارع حمام المصبغة ـ الأزهر
تليفون ٩٠٧٥٥٤